مجلة كلية العلوم الإسلامية

المجلد الثالث العدد الخامس ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م

# منهج المفسرين في كتابة السيرة النبوية

## ((الطبري نموذجاً))

أ. د. رياض هاشم هادي(*)

## ملخص البحث

تأتي هذه الدراسة لتسليط الضوء على دور علماء التفسير في كتابة السيرة النبوية. حيث كان سابقاً ان الذين يكتبون في السيرة النبوية هم فقط اهل المغازي والسير من اصحاب التاريخ والقصص. وان لا دور لغيرهم في كتابة السيرة قد يبدو ذلك صحيحاً لأول وهلة ولكن اذا ما عدت الى مؤلفات اصحاب الفن سوف نجدهم يفردون تفتصيل عديدة في كتاباتهم في عرض وقائع السيرة النبوية. فعليه تأتي هذه الدراسة لايضاح دور علماء التفسير في كتابة السيرة النبوية.

## ABSTRACT

This study came to falls light to the role of the Commentary Scientist during the writing of the Prophet Biography. Therefore it was during the privies time those who wrote of the Prophet Biography who enough the people of Al-Magazi and Biography who the owner of the history and novels and there is no role for the others in writing the biography and it seemed that is correct for the first time but if belong to the writers who are owner of the art and will be served them which decided them without any other details during there works, showing the events of Prophet biography. Therefore this study came to rendering the role of the commentary scientists during the writing of the Prophet biography.

---

(*) أستاذ السيرة النبوية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الموصل.

**المقدمة**:-

تناولت العديد من الدراسات الأكاديمية العلمية بالحديث عن جوانب عديدة من سيرة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام وعلى وجه الخصوص العاملين في حقل الدراسات ألتاريخية معتمدين على ما قدمته المصادر الأولية من معلومات ثمينة عن حياة الرسول محمد ﷺ . غير أن هذه الدراسات تجنبت الخوض بالحديث عن صلة السيرة النبوية بالقرآن والسنة على الرغم من أن القرآن الكريم لم يقدم الشيء الكثير عن حياة الرسول محمد ﷺ في مرحلة ما قبل البعثة إلا نادراً إلا انه أسهب بالحديث عن المرحلة المكية والمدنية ومع ذلك دأب أهل التاريخ على اعتماد ما قدمته المصادر ألتاريخية مثل السيرة و ألمغازي لأبن إسحاق والمغازي للواقدي والسيرة النبوية لابن هشام والطبقات لأبن سعد وانساب ألأشراف للبلاذري في سرد الأحداث ذات العلاقة بحياة الرسول محمد ﷺ مستشهدين ببعض الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية.فهم بذلك اعتمدوا على ما قدمته تلك المصادر من معلومات في نقل الأحداث عن حياة الرسول ﷺ ومنهج أهل التأريخ إذ يعتمد على تقديم كل الروايات صحيحها و سقيمها من دون نقد أو تحليل وهذا يجعل الباحث المعاصر في حيرة من قبول بعض الروايات التي قد لا تتفق مع المنهج العلمي السليم وبالتالي يصاغ الى عدم القبول بها .وأن كان ما يقدمه أهل المنهج ألتأريخي يكاد يصل في كثير من الأحيان إلى درجة المصداقية المطلقة والقوة المحكمة.بحيث نرى أن أهل السنن والتفسير أحيانا كثيرة يستشهدون بما قدمه أصحاب الروايات التاريخية على أنها روايات صحيحة ودقيقة فمثلاً نلحظ الإمامين البخاري ومسلم (رحمهما الله) في صحيحهما وأصحاب السنن كالإمام احمد في مسنده والترمذي في جامعه وغيرهم نجدهم جميعاً يستشهدون بما قدمه ابن إسحاق على وجه الخصوص ومن جاء بعده مثل الواقدي وتلميذه ابن سعد وغيرهم وكذلك المفسرون عندما دونوا تصانيفهم، نجدهم يستشهدون فيما يتعلق بحياة الرسول(ﷺ) بما قدمه ابن اسحق ومن جاء بعده من المؤرخين مما يدل على أن أصحاب السنن والتفسير اعتمدوا على ما قدمه هؤلاء الأوائل مما يجعلنا نثني عليهم ونقدر لهم جهودهم و إذا ما وقع عندهم شيء من الخطأ أو عدم الدقة فهذا لا يعني أن ما قدموه لا يمثل الحقيقة على العكس إن

لجهودهم و آثارهم المكانة المرموقة والتي لا يمكن لأحد ما أن يتجاهل أو يتغافل عن تلك الجهود العظيمة فجزاهم الله عن الأمة خير الجزاء.

وقد قدم الباحث دراسات متنوعة في هذا المجال منها منهج ابن إسحاق في كتابة السيرة النبوية ومنهج ألواقدي في كتابة السيرة النبوية ومنهج المستشرقين في كتابة السيرة النبوية ومنهج المحدثين في كتابة السيرة النبوية البخاري نموذجا و أخيراً وحتى تستكمل الصورة لدى الدارسين ألأفاضل منهج المفسرين في كتابة السيرة النبوية الطبري نموذجاً ومن المؤمل ان تنظم هذه الدراسات بعضها إلى بعض في كتاب واحد حتى يكون الدارس متبصراً بكافة المناهج العلمية والمعرفية التي كتبت في السيرة النبوية ويرى أنذاك أوجه التشابه والخلاف عند أصحاب هذه المناهج.

**هدف الدراسة**:-

فهدف الدراسة إذن هو استكمال جهد علمي منهجي أكاديمي لتلك المناهج بدراسة علمية تتحدث عن منهج المفسرين في كتابة السيرة النبوية حتى تستكمل الصورة ويكون الدارس عارفاً بالمناهج العلمية التي تحدثت وكتبت في سيرة الرسول محمد (ﷺ).من حيث انه لدى المفسرين منهجهم في تفسير الآيات القرآنية ذات العلاقة بحياة الرسول محمد (ﷺ) وسوف نلحظ جلياً ونحن نتحدث عن منهجهم أنهم كانوا على دراية كبيرة بكل التفاصيل المتعلقة بحياة الرسول محمد (ﷺ). فإذا تيسر للباحث في هذه الدراسة العلمية التوفيق فيكون قد قدم شيئاً متواضعاً في خدمة المسيرة العلمية لحياة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام.

**خطة الدراسة**:-

تعتمد هذه الدراسة منهجاً علمياً أكاديمياً يستند على عرض أولي لمفهوم التفسير للقرآن الكريم يتلو ذلك عرضاً تاريخياً لأقدم المفسرين وفي مقدمته الإمام الطبري (رحمه الله) في كتابة الجامع ثم العمل على تقديم ألعلماء ألمهتمين بالتفسير وحسب زمن الوفاة لكل واحد منهم وانتهاءً بالعلامة الكبير ابن كثير (رحمه الله) حيث سيتم العرض وفق المنهج

الزمني ألتاريخي لأصحاب التفسير وسيكون الإمام الطبري وهو النموذج الذي ستركز عليه ألدراسة على اعتبار أنه أول من قدم كتابه في التفسير .وعند مراجعته نجد فيه العديد من الآيات القرآنية ذات العلاقة بسيرة الرسول محمد (ﷺ) وقد وقف عندها شارحاً ومفسراً.

وأننا سنلحظ أن أصحاب التفسير كانوا معتمدين على ما قدمه أسلافهم من أصحاب السنن ثم أصحاب ألسير والمغازي من المؤرخين. وأنهم اهتموا كثيراً بالأسانيد و ألنصوص و ألمتون و اعتمدوا عليها وحرصوا على ما قدمه ابن إسحاق في مغازيه عن حياة الرسول محمد (ﷺ) بل أننا نرى الإمام ابن كثير كان كثيراً ما يترحم على ابن إسحاق ،ويصفه بالعلامة ويستند إلى ما قدمه بشكل كبير مما يدل على أن مقام ابن إسحاق عند ابن كثير (رحمه الله) وغيره من علماء التفسير كبير جداً. ولقد فعل ذلك الإمام ابن حجر ألعسقلاني رحمه الله وهو شيخ المحدثين وإمامهم عندما أثنى على ابن إسحاق وعلى شيخه ألزهري عندما أرخ في السيرة النبوية.

## مفهوم التفسير عند علماء ألمسلمين:-

التفسير في اللغة الايضاح وألتبيين ومنه قوله تعالى:"ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً"[١] أي بياناً وتفصيلاً.[٢]

والتفسير في الاصطلاح :علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية[٣].

وقال بعضهم التفسير في الاصطلاح:علم نزول الآيات وشؤونها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفصلها وحلالها وحرامها ووعدها ووعيدها وامرها ونهيها وعبرها وأمثالها[٤].

ولقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم فكانوا يفهمونه ويدركون اغراضه ومراميه وأن تفاوتوا في هذا الفهم والادراك تبعاً لاختلاف درجاتهم العلمية ومواهبهم العقلية ولعل العلامة ابن خلدون كان مبالغاً حين جزم بأن الصحابة جميعاً كانوا في فهمه سواء[٥].فقد قال ابن قتيبة وهو ممن تقدم على ابن خلدون ببضعة قرون:"أن العرب

لاتستوي في المعرفة بجميع مافي القرآن من الغريب والمتشابه بل أن بعضها يفضل في ذلك على بعض"[٦].

وكان الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين:اذا اشكل عليهم معنى من معاني القرآن الكريم لجؤوا الى رسول الله(ﷺ) فيوضحه لهم ويبينه كما قال تعالى:"وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم لعلهم يتفكرون"[٧].

فمن ذلك مارواه الامام احمد والشيخان وغيرهم عن ابن مسعود (ﷺ) قال:لما نزلت الآية:"الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم"[٨]شق ذلك على الناس فقالوا:يارسول الله وآينا لايظلم نفسه:قال أنه ليس الذي تعنون،ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح:أن الشرك لظلم عظيم؟أنما هو ألشرك.[٩]ومثال على ذلك مارواه الإمام الترمذي وابن حبان:أن رسول الله(ﷺ)قال:الصلاة الوسطى صلاة العصر[١٠]وما أخرجه الإمام الترمذي:أن يوم الحج الاكبر هو يوم النحر وأن كلمة التقوى هي لا اله الا الله.[١١]

وقد أختلف العلماء المفسرون في المقدار الذي بينه الرسول محمد(ﷺ)لأصحابه من القرآن الكريم[١٢].

وكان الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين.اذا لم يجدوا التفسير في كتاب الله تعالى،ولم يتيسر لهم أخذه عن رسول الله (ﷺ) رجعوا في ذلك الى اجتهادهم واعمال رأيهم وساعدهم على التفسير أنهم عرب خلص يعرفون معاني اللغة العربية وأسرارها وأنهم عاشوا فترة نزول الوحي مع النبي (ﷺ) فعرفوا اسباب النزول وأدركوا ما احاط بالقرآن الكريم من ظروف وملابسات تعين على فهم كثير من الآيات القرآنية لهذا قال الواحدي:"لايمكن معرفة تفسيرٍ لآية دون الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها"[١٣].

غير أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا متفاوتون في قدرتهم على تفسير القرآن تبعاً لمقدار سماعهم التفسير من رسول الله (ﷺ) ولمقدار ماشاهدوه من اسباب النزول ولمدى ما فتح الله عليهم من طريق الرأي و الإجتهاد [١٤].

ولقد اشتهر بالتفسير من الصحابة على عهد رسول الله (ﷺ) وبعده ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب وابن مسعود وابن عباس

وابـي كعـب وزيـد بـن ثابـت وابـو موسـى الاشـعري وعبـدالله بـن الزبيـر رضـوان الله علـيهم أجمعين[١٥].

وهنـاك مـن تحـدث بالتفسير كـأبي هريـرة (ت ٧٥هـ) وجـابر بـن عبـدالله(ت ٧٤هـ) وعبـدالله بـن عمـرو بـن العـاص (ت ٦٣هـ) وأنـس بـن مالـك (ت٩١هـ) (رضـي الله عـنهم أجمعين) غير أن ما نقل عنهم في التفسير قليل جداً بالنسبة للعشرة الذين ذكرهم السيوطي فـي الاتقـان.[١٦] وأكثـر مـن روي عـنهم مـن هـؤلاء العشـرة اربعـة مـنهم: عبـدالله بـن عبـاس وعبدالله بن مسعود ثم علي بن ابي طالب ثم ابي بن كعب (رضي الله عنهم أجمعين) إلاّ أنـه لم يدون وذلك لقرب عهدهم برسول الله (ﷺ) ولقلـة الاختلاف والتمكن من الرجوع الى الثقات.

فلمـا انقضـى عهـد الصـحابة او كـاد وصـار ألأمـر الـى تابعيهم،وأنتشـر الاسـلام واتسعت الامصار وأنتشر الصحابة فيها وحدثت الفتنـة في عهدي الخليفة عثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب(رضي الله عنهما) وأختلفت الاراء وكثرت الفتاوى والرجوع الى الكبراء فأخذوا في تدوين الحديث والفقه وعلوم القرآن[١٧].

فكان من اوائل العلوم التـي دونت هي علم التفسير وكان من أقدمها تفسير ابـي العالية رفيع بن مهران الرياحي (ت ٩٠هـ) ومجاهد بن جبر (ت ١٠١هـ) ثم تفسير عطـاء بن ابي رياح (ت ١١٤هـ) ثم تفسير محمد بن كعب القرظي (ت١١٧هـ).

وكـان مـن نتيجـة ذلك ظهـور تبـاين فـي تفسـير الصـحابة عن تفسـير التـابعين ففـي عهد الصحابة لم يفسر القرآن كله، أنما فسر مـا غمض منه.لقلـة الاختلاف فـي فهم معاني القـرآن الكـريم لقلـة الاخـتلاف المـذهبي حـول الآيـات ،فكـان الاكتفـاء بالمعـاني الاجماليـة للآيات القرآنية فلم يدون التفسير، بل أتخذ التفسير شكل الحديث وذلك لقلة الرجوع الـى أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

فـي حين نـرى ان التفسير أتخذ شـكلاً آخر فـي عهـد التـابعين فلقد ظهـرت تفاسـير شاملة لأكثر آيات القرآن، ثم زاد الخلاف نسبياً في فهم معاني القرآن الكريم عما كان فـي عصر الصحابة ظهر تفسير لكل آية ولكل لفظة زاد الخلاف المذهبي حول الآيات مثل تفسير قتادة والحسن البصري حول القدرة.وعليه دون التفسير وأستقل في كتب منفصلة وان

ظل على شكل رواية الحديث فضلاً عن ذلك كثرة الرجوع الى اهل الكتاب وبهذا دخلت عليه الكثير من الاسرائليات وذلك لكثرة من دخل منهم الاسلام وتساهل التابعين في الاستماع اليهم[١٨]. كما امتاز عصر التابعين بظهور ثلاث مدارس في التفسير:-

١. مدرسة مكة واصحابها تلاميذ ابن عباس (رضي الله عنهما) منهم أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي المتوفي ١٠١هـ حكى عن نفسه انه عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة وقد اعتمد على تفسيره الامامان الشافعي والبخاري في مصنفاتهما.وعكرمة مولى ابن عباس المتوفى سنة (١٠٥هـ) وغيرهم.
٢. مدرسة العراق وأصحابها تلاميذ ابن مسعود (ﷺ) ومنهم مسروق بن الاجدع الكوفي المتوفى سنة(٦٣هـ) والاسود بن يزيد سنة(٧٥هـ)وغيرهم والحسن البصري المتوفى (١٢١هـ).
٣. مدرسة المدينة:ورجالها تلاميذ ابي كعب وأصحاب زيد بن أسلم المتوفى (١٦٣هـ) ومنهم ابو العالية رفيع بن مهران الدياحي المتوفي (١١٨هـ).

كما أن في عهد التابعين كان العمل على جمع ما أثر من تفسير عن رسول الله (ﷺ) وعن صحابته الكرام وعن التابعين بدون تفرقة بين المدارس الثلاث التي امتازت واشتهرت في عصر التابعين بروايات مخصوصة فظهرت مدونات عديدة في علم التفسير جمعت كل العلم الشرعي المتعلق بتفسير الايات القرآنية.

ومن أشهرهم الامام عبد الرزاق بن همام الصنعاني شيخ الامام البخاري (رحمه الله) في الحديث المتوفى (٢١١هـ). وتفسيره مخطوط بدار الكتب وتوجد نسخة منه بمكتبة استانبول بتركيا[١٩]وكذلك تفسير ابن اسحاق بن راهوية المتوفى (٢٣٨هـ) وآدم بن ابي اياس العسقلاني المتوفى سنة (٢٢٠هـ)، الا ان معظم هذه التفاسير قد ضاعت وفقدت الا تفسير سفيان الثوري وقد طبع بالهند وتفسير عبد الرزاق بن همام الصنعاني وتفسير مقاتل بن سلميان[٢٠].

مما سبق عرضه آنفا وجدنا بداية التفسير كانت على يد الصحابة الكرام ثم التابعين حيث عنوا بشكل كبير في تفسير الآيات القرآنية التي فسرها رسول الله (ﷺ) ثم دونوا ذلك في البداية كمصنفات متواضعة ثم امتد الاهتمام بعد ذلك في عصر التابعين اي

ظهور مدونات كبيرة ومتخصصة وظهر من خلال تفسير الآيات القرآنية والحديث من اسباب النزول الى الحديث بشكل مباشر الى شيء من حياة الرسول (ﷺ) فهم دونوا وبشكل غير مباشر جزءاً كبيراً من حياة الرسول (ﷺ) في مصنفاتهم تلك وكان لهم في ذلك منهجهم الخاص فجاءت هذه الدراسة اذن لبيان ذلك المنهج العلمي الذي سلكه اصحاب التفسير في عرض الوقائع التي عرضها القرآن الكريم وهو يتحدث عن حياة الرسول محمد (ﷺ) وان كان في حقيقة الامر لايختلف كثيراً عن منهج اصحاب السنن حيث الاعتماد وبشكل كلي على سلسلة الاسناد الا انهم استندوا في ذلك الى اسباب النزول وهو الامر الذي ميزهم عن غيرهم من الذين دونوا في سيرة الرسول محمد (ﷺ) وسيكون حديثنا الان عن أسباب النزول الذي استند اليه اصحاب التفسير في عرض مدوناتهم عن حياة الرسول محمد (ﷺ).

أن اسباب نزول الايات القرآنية الخاصة بشخص الرسول (ﷺ) وحياته وغزواته واسباب ورود الاحاديث التي تدور في تلك السيرة النبوية والاحداث التاريخية التي تصور مراحل الدعوة ونشوء المجتمع الاسلامي هي الحلقات الثلاثة التي اعتنى بها الصحابة وابناؤهم واسهمت في تكامل حلقات السيرة وترافقت مع تقدم عمر النبي عليه الصلاة والسلام وانتصارات الدعوة الاسلامية ودخول الناس افواجا في دين الله وسنحاول افراد الحديث لكل حلقة من هذه الحلقات الثلاث وبصورة مستقلة عن غيرها.

### ١. **أسباب النزول**:-

ومعنى اسباب النزول كما بينه العلامة الحافظ ابن حجر:هو ذكر الاحداث والاسئلة التي نزل بشأنها وقت وقوعها او بعده بيسر ونفهم منه ان سبب النزول يكون قاصراً على أمرين.

١. أن تحدث حادثة فينزل القرآن الكريم بشأنها ومثاله فداء اسرى بدر ونزول قوله تعالى:"ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز حكيم"[٢١].

٢. ان يسأل الرسول (ﷺ) عن امر فينزل القرآن الكريم ببيان حكمة ومثاله:"سؤال الصحابة عن قسمة الانفال ونزول قوله تعالى:"يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول"[٢٢].

وكتب السنة كلها اشتملت على اسباب النزول والمسند للإمام احمد بن حنبل (رحمه الله) من اوسعها رواية وصحيح الامام البخاري من اكثرها استقصاء وفي اعلى درجات الصحة وفي المستدرك للامام الحاكم اعتناء ظاهر وحيد بروايات اسباب النزول وعبدالله بن عباس (رضي الله عنهما) من اوسع الصحابة رواية لأسباب النزول وهو كما معلوم عند علماء المسلمين قاطبة (حبر الامة) وترجمان القرآن اذ له في المسند (٢٩) رواية وفي المستدرك (٢٨) رواية ويأتي بعده في الاعتناء باسباب النزول الامام عبدالله بن مسعود (رضي الله عليه) وهو القائل:ما في كتاب الله آية الا وانا اعلم فيم نزلت.[٢٣]

وقد نبه العلامة الحافظ ابن حجر الى العلاقة القائمة بين اسباب النزول والسيرة ورسم لنا القاعدة الذهبية في توثيق ماورد من الاسباب في كتاب المغازي فقال:–

"يوجد كثير من اسباب النزول في كتب المغازي مما كان منها من رواية معتمر بن سليمان عن ابيه–يعني سليمان بن طرخان– صاحب السيرة أو في رواية اسماعيل بن ابراهيم بن عقبة عن عمه موسى بن عقبة فهو اصلح مما فيها من كتاب محمد بن اسحاق وما كان من رواية ابن اسحاق أمثل مما فيها من رواية الواقدي.[٢٤]

وفي تفسير الامام الطبري مثلا نجده احتوى على خمسمائة سبب نزول غير متكرر وقد يخرّج للآية الواحدة خمسة اسباب لكنه لايلتزم الصحة في كل الروايات واكثرها موتور او مقطوع[٢٥]، والآيات التي وردت فيها روايات صحيحة مسندة الى الصحابة في اسباب نزولها لاتكاد تبلغ ثلاثمائة في عدد اي القرآن الكريم والتي تزيد على (٦٢٠٠) آية.[٢٦].

ومن اجل التدليل على اهمية اسباب النزول في توضيح كثير من مفاصل السيرة النبوية نقول انه تم اختيار ثلاث روايات للامام البخاري (رحمه الله) في اسباب النزول وهي من الاحداث المتقدمة للسيرة والتي تظهر اهمية هذا العلم في المصادر الاساسية اولاً وفي الرصيد الكلي من اخبار السيرة الصحيحة عندما تتوافر العزيمة على جمعها ثانياً.

١. عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: لما نزلت "وأنذر عشيرتك الاقربين"[٢٧]صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: "يابني فهر يا بني عدي" لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل منهم لايستطيع ان يخرج ارسل رسولاً لينظر ماهو فجاء ابو لهب وقريش فقال: "أ رأيتكم لو أخبرتكم ان خيلاً بالوادي تريد ان تغير عليكم أ كنتم مصدقي؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك الا صدقاً قال فأني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب: تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت آية تبت يدا ابي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وماكسب[٢٨].
٢. وعن مسروق قال: "دخلت على عبدالله بن مسعود فقال: ان من العلم ان تقول لما لاتعلم الله اعلم.أن الله قال لنبيه (ﷺ): "قل ما اسئلكم عليه من أجر وما انا من المتكلفين"[٢٩].
٣. أن قريشاً لما غلبوا النبي (صلى الله عليه سلم) واستعصوا عليه، قال: اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف، فأخذتهم سنة اكلوا فيها العظام والميتة من الجهد حتى جعل احدهم يرى مابينه وبين السماء كهيئة من الدخان من الجوع قالوا "ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون"[٣٠] فقيل له: "أن كشفنا عنهم عادوا فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا فأنتقم الله منهم يوم بدر فذلك قوله تعالى:"فأرتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم ربنا أكشف عنا العذاب انا مؤمنون انى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون، انا كاشفوا العذاب قليلاً انهم عائدون يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون"[٣١].

وعندما يتم استقصاء الصحيح والحسن من هذه الروايات المتعلقة بالسيرة النبوية فأنها ستشكل رصيداً عظيماً من الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية التي ارسى قواعدها الاسلامية المتينة الرسول (ﷺ) بالاسوة الحسنة والتعليم ألدؤوب والتربية المستمرة كما تملأ فراغات كثيرة من اخبار كتب المغازي والسير، التي اقتصرت اهتماماتها على الحياة السياسية والمعارك الحربية ولعل في تصنيفها في المكان اللائق من علوم السيرة النبوية يفتح عيون وقلوب المسلمين ويشرح صدورهم على الدروس النبوية ونقلها الى عمل وسلوك

يومي وعزة وشموخ في مجتمعاتهم التائهة عن رسالتها الثابتة واوطانهم الممزقة على دروب التقليد الخاطئ والحضارة الزائفة(٣٢).

بعد هذا العرض الموجز عن اهمية اسباب النزول في تحديد مفاهيم وموضوعات السيرة النبوية وعلى وجه الخصوص فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية والسياسية والعسكرية للرسول (صلى الله عليه وسلم)في المرحلتين المكية والمدنية وكيف ان علماء التفسير (رحمهم الله اجمعين) استطاعوا ملء الفراغات التي حصلت ونحن نتحدث عن سيرة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ولولا هذا الجهد المتميز لما كنا قادرين على تقديم صورة متكاملة عن حياة الرسول (ﷺ).

واذا اردنا الحديث عن منهج علماء التفسير في كتابة السيرة النبوية فمن المعلوم لدينا ان العديد منهم ان لم يكن اغلبهم،لم يعمد الى كتابة السيرة النبوية بشكل منفرد او مستقل الا القليل منهم وفي هذه الدراسة سنحاول عرض بعض النماذج من الآيات القرآنية ذات العلاقة بالسيرة وسوف نجد من خلالها كيف عرض لنا علماء التفسير مشاهد صحيحة من السيرة النبوية وعندها يمكننا التعرف على منهجهم في عرض وقائع السيرة النبوية وهذا بحد ذاته مهم جداً بالنسبة الى عموم الباحثين والدارسين والساعين وراء الحدث السليم وسيتأكد لنا ان ماقدمه علماء التفسير يعد من اوثق ماقدمته عموم المصادر والمراجع من عرض وقائع حيوية من سيرة الرسول محمد (ﷺ) ومن اجل ذلك سنعمد الى تقديم خمسة نماذج من نصوص قرآنية ذات علاقة مباشرة بحياة الرسول (ﷺ) ثم عرضها كما قدمها علماء التفسير ومن خلالها سوف نتعرف على المنهج الذي سلكه هذا المفسر وعليه تم اختيار خمسة من علماء التفسير كنماذج لهذه الدراسة وفي مقدمتهم الامام الطبري، وحسب الترتيب الزمني للوفاة ثم وسيكون التركيز على العلامة الامام الطبري على اعتبار هو اول من قدم تفسيراً كاملاً للقرآن الكريم وهو مطبوع عدة طبقات.

### أولاً:- الإمام الطبري ٢٢٤-٣١٠ هـ:

هو الامام الحافظ المفسر المؤرخ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب ابو جعفر الطبري ولد سنة اربع وعشرين ومائتين وتوفي سنة ثلاثمائة وعشرة هجرية.

كانت حياته مثلاً عالياً للتفاني في العلم والعمل الدائب على البحث والتقصي والتأليف وما ظنك برجل مكث اربعين سنة يكتب كل يوم اربعين ورقة. وقد حسب تلاميذه عمره يوم بلغ الحلم الى ان توفاه الله ثم قسموا انتاجه على هذه المدة فكان كل يوم اربعة عشر ورقة[٣٣].

وقيل عن الامام الطبري بأنه كان على درجة كبيرة من الخلق والكرم والعفة وجاء في ترجمة حياته عند علماء التراجم بأن امير المؤمنين الخليفة العباسي المقتدر وصله بجوائز عرفاناً لعلمه فرفض ان يقبلها وكذلك اهدى اليه احد الوزراء الف دينار فردها كما عرض عليه القضاء فأبى العمل فيه. ولعل مما اعانه على هذا الترفع والاعتداد بالنفس ان اباه ترك له ضيعة بطبرستان فكان ينفق ما يستغله منها على نفسه واهله وطلابه[٣٤].

ذكر العلماء عن مكانته بأنه كان موسوعة علمية في التفسير والحديث والفقه والاصول والقراءات والتأريخ وليس ادل على ذلك من ان الخليفة العباسي المقتدر اراد في بعض الايام ان يكتب كتاباً وقفاً تكون شروطه متفقاً عليها بين العلماء فقيل له لايقدر على هذا الا محمد بن جرير الطبري فطلب منه ذلك فكتب له هذا الكتاب فاراد الخليفة جائزته فأبى وكان الامام اول امره شافعياً ومكث ينشر هذا المذهب ببغداد سنين واقتدى به ثم اتسع علمه واداة اجتهاده الى ما اختاره في كتبه.

وقال فيه الامام ابو بكر بن خزيمة انه امام الائمة "وما اعلم على اديم الارض اعلم من ابن جرير ولقد ظلمته الحنابلة كما اثنى عليه الخطيب البغدادي فقال كان من اكابر ائمة العلم وبحكم قوله ويرجع الى معرفته وفضله وكان قد جمع من العلوم مالم يشاركه أحد من اهل زمانه وكان حافظاً لكتاب الله عارفاً بالقراءات كلها بصيراً بالمعاني فقيها في الاحكام عالماً بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها عارفاً بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين[٣٥] والتابعين ومن جاء بعدهم عارفا بأيام الناس واخبارهم كما افرد جزءاً من كتابه تاريخ الرسل والملوك للحديث عن سيرة الرسول (ﷺ) لاسيما الاجزاء الاولى منه[٣٦].

ولقد تعرض الامام الطبري الى محنة كبيرة حاله حال من سبقه من علماء الامة الاجلاء من الذين كان لهم دور بارز في تاريخ الاسلام وكانت محنته من عوام الحنابلة

وجهلتهم ومن الذين عدوا انفسهم حنابلة وذلك بسبب مقالة قالها الطبري في الامام احمد بن حنبل (رحمه الله) وهي (بأن الامام احمد رجل حديث لا فقه) وقد اوذي بسبب تلك المقالة كثيراً وضيق عليه حتى حالوا بين الناس وبين الانتفاع بعلمه بل استمرت هذه العداوة حتى بعد وفاته فقد ابى من حسب نفسه على انه من الحنابلة بأن يدفن الطبري نهاراً فلم يكن بد من ان يدفن بداره[٣٧].

والمعلوم عند عند علماء المسلمين كافة ان الاسلام يقدس حرية الرآي طالما لا تصل الى الشرك والكفر وهب ان الامام الطبري اخطأ او حتى أساء في طرح رأيه في عالم من علماء المسلمين دون القدح فيه فما كان ينبغي من ان يؤدي هذا الى الايذاء الشديد لعالم من علماء المسلمين ومما لاشك فيه ان السادة علماء الحنابلة الافاضل وشيوخهم كانوا اعقل من ان يصدر منهم ما كان ولكنه منطق العوام الجهلاء في كل عصر فالاسلام بريء مما حدث بحق الامام الطبري (رحمه الله) وبحق غيره من علماء الامة الاجلاء ممن بذلوا حياتهم خدمة للأسلام واعلاء كلمته والدفاع عن رسوله والذب عنه[٣٨].

كما ان الامام الطبري (رحمه الله) لم يسلم من الرمي ببعض التهم الجارحة التي تخرجه عن الملة والجماعة فلقد اتهم بالإلحاد والفسوق (قال ابن كثير وحاشاه من ذلك كله بل كان احد ائمة الاسلام علماً وعملاً بكتاب الله وسنة رسوله وانما تقلدوا من ذلك عن ابي بكر محمد بن داود الفقيه الظاهري حيث كان يتكلم فيه ويرميه بالعظام ولعل السبب في هذه الفرية انه الف في فضائل سيدنا الامام علي بن ابي طالب (ﷺ) ولكن شنأن مابين ذكر الفضائل وغيرها.[٣٩]

بعد الحياة الحافلة للامام الطبري والتي قضاها بالدراسة والبحث والتأليف لخدمة الاسلام واهله.

وافاه الاجل سنة عشر وثلاثمائة هجرية ولما توفي اجتمع خلق كثير من سائر انحاء بغداد وصلوا عليه بداره ورثاه خلق كثير من اهل العلم والادب.[٤٠]

ولقد اشتهر الامام الطبري بأنه قد الف عديداً من المصنفات تنوعت وتعددت في موضوعاتها،غير ان اشهرها التفسير الكبير الذي قال فيه الامام النووي (رحمه الله) في تهذيب كتاب ابن جرير في التفسير لم يصنف احد مثله وقال ابو حامد الاسفرائيني:لو رحل

رجل الى الصين حتى ينظر تفسير ابن جرير لم يكن كثيراً عليه وهو من اجل كتب التفسير بالمأثور واصحها،يذكر فيه ما ثبت عن النبي (ﷺ) وما ورد عن الصحابة الكرام التابعين الأخيار وقد عرض فيه لوجيه الاقوال وترجيح بعضها عن بعض كما ذكر فيه الكثير من وجوه الاستنباط والاعاريب واللغات والاستشهاد بالشعر على بعض معاني الالفاظ وهو مطبوع ويقع في عديد من الاجزاء ويعد اليوم من ابرز المصادر المعتمدة عند طلبة العلم في الرجوع اليه في تحقيق دراساتهم وبحوثهم المتعلقة بالقرآن الكريم وهو مصدر لاينبغي لطالب العلم العدول عنه(٤١).

ومن مؤلفاته ذات القيمة كتاب (تهذيب الآثار) قال الخطيب البغدادي فيه:وله كتاب سماه تهذيب الاثار)لم ار سواه في معناه الا انه لم يتمه وقال الذهبي(٤٢): "وهو من عجائب كتبه ابتدأ بما وراه ابو بكر الصديق وتكلم على حديث وعلته وطرقه وما فيه من الفقه واختلاف العلماء وحججه واللغة فتم مسنده العشرة واهل البيت والموالي ومن مسند ابن عباس قطعة ومات(٤٣). وقال ابن كثير في بدايته ومن احسن مصنفاته (تهذيب الاثار) ولو كمل لما احتيج معه الى شيئ ولكان فيه الكفاية لكن لم يتمه. فيه جزاءان كتبا في القرن الثامن احدهما يحتوي على القسم الاخير من مسند الامام علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) وهو محفوظ بمكتبة (كوبريلي) تحت رقم٢٧٠)(٤٤) والاخر فيما روى عن ابن عباس (رضي الله عنهما) وهو بنفس المكتبة تحت رقم٢٩٦(٤٥).

ويعد تاريخ الرسل والملوك من افضل مؤلفاته بعد كتاب التفسير وذكر انه لما عزم على تأليفه قال لتلاميذه هل تنشطون لتاريخ العالم؟ قالوا: كم يجئ فذكر نحوا من ثلاثين الف ورقة فقالوا: هذا يفني الاعمار قبل تمامة. قال: انا له فأملاه في نحو ثلاثة الاف ورقة(٤٦).

يعد تاريخ الطبري او الرسل والانبياء او الامم والملوك اول عمل تأريخي بين مصنفات العرب، اقامة على منهج علمي وساقه في نهج استقرائي بلغت الرواية مبلغها من الثقة والامان والاتقان وقد أملاه بعد سنة٢٩٠هـ/٩٠٢م وقد انتهى من تأليفه سنة ٣٠٣هـ/٩١٤م (٤٧).

ومن مصنفاته الاخرى:

١. كتاب القراءات وكان حجة فيها كما كان حسن الصوت بالقرآن الكريم.
٢. كتاب العدد والتنزيل.
٣. كتاب تاريخ الرجال.
٤. كتاب البسيط في الفقه.
٥. كتاب التبصير في الاصول.
٦. كتاب اختلاف العلماء في احكام شرائع الاسلام.
٧. كتاب الخفيف في الفقه.
٨. كتاب لطيف القول في الفقه.
٩. كتاب الفضائل.

وله مؤلفات عديدة في النحو والشعر والحساب ولا مجال لذكرها(٤٨).

نماذج من مرويات الامام الطبري والتي تم اقتباسها من كتاب جامع البيان في تأويل القرآن،الطبعة الرابعة، بيروت، ١٤٢٦هـ١٤٠٥م٢٠٠٥م . في تفسير بعض الآيات القرآنية ذات العلاقة بالسيرة النبوية.

**١. تفسير سورة عبس:**

٣٦٣١٩- حدثني محمد بن سعد قال: ثني ابي، قال: ثني عمي، قال ثني ابي، عن ابيه عن ابن عباس قوله (عبس وتولى ان جاءه الاعمى) قال: بينما رسول الله (ﷺ) يناجي عتبة بن ربيعة وابا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وكان يتصدى لهم كثيراً ويحرص على ان يؤمنوا فأقبل اليه رجل اعمى يقال له عبدالله بن ام مكتوم يمشي وهو يناجيهم فجعل عبدالله يستقرئ النبي (ﷺ) آية من القرآن وقال: يارسول الله علمني مما علمك الله، فأعرض عنه رسول الله وعبس في وجهه وتولى وكره كلامه واقبل على الاخرين فلما قضى رسول الله (ﷺ) وأخذ ينقلب الى اهله، امسك الله بعض بصره ثم خفق برأسه ثم انزل الله "عبس وتولى ان جاءه الاعمى،وما يدريك لعله يزكى، او يذكر فتنفعه الذكرى"فلما نزل فيه اكرمه رسول الله (ﷺ ) وكلمه وقال له: ما حاجتك هل تريد مني شيئ؟ واذا ذهب

من عنده قال له:هل من حاجة في شيئ؟وذلك لما انزل الله(اما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك الا يزكى"[٤٩].

٣٦٣٢٥- حدثت عن الحسين قال:سمعت ابا معاذ يقول:ثنا عبيد قال:سمعت الضحاك يقول في قول (عبس وتولى) تصدى له رسول الله (ﷺ) لرجل من مشركي قريش كثير المال ورجا ان يؤمن وجاء من الانصار اعمى يقال له عبدالله بن ابن مكتوم فجعل يسأل نبي الله (ﷺ) فكرهه نبي الله (ﷺ) وتولى عنه واقبل على الغني فوعظ الله نبيه فأكرمه نبي الله واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين غزاهما[٥٠].

مما لاشك فيه ان هناك اشتباه بالحديث عن الصحابي ابن ام مكتوم (رضي الله عنه) عند الطبري، فعبدالله رجل من اهل مكة وليس من اهل يثرب كما ان طبيعة الحديث عن الدعوة تقتضي انها في مكة وليس في يثرب وتذكر المصادر التاريخية ان الرجل المقصود من المشركين هو ابي بن خلف وهو رجل من قريش من اهل مكة من اغنى عشائرها[٥١]. وأن طبيعة الحوار يدل على ان الدعوة كانت من المرحلة المكية وليس في المدينة.

**٢. النص الثاني في تفسير سورة الحشر:**

"هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر"[٥٢].

ويفسر الطبري هذه الآية بقوله (يعني الله تعالى ذكره بقوله: هو الذي ..... لأول الحشر" الله الذي اخرج الذين جحدوا بنبوة محمد (ﷺ) من أهل الكتاب وهم يهود بني النضير من ديارهم وذلك خروجهم من منازلهم ودورهم حين صالحوا رسول الله (ﷺ) على أن يؤمنهم على دماءهم ونسائهم وذراريهم وعلى ان لهم ما اقلت الابل من اموالهم يخلوا لهم دورهم وسائر اموالهم، فأجابهم رسول الله (ﷺ) الى ذلك فخرجوا من ديارهم فمنهم من خرج الى الشام ومنهم من خرج الى خيبر فذلك قوله عز وجل (هو الذي....)[٥٣].

٣٣٨١٦- حدثنا ابن عبد الاعلى، قال: ثنا ابن ثور عن معمر عن الزهري (من ديارهم لاولي الحشر) قال: هم بنو النضير قاتلهم النبي (ﷺ) حتى صالحهم على الجلاء فأجلاهم الى الشام على ان لهم ما اقلت الابل من شيء الا الحلقة والحلقة: السلاح. كانوا من سبط

لم يصبهم جلاء فيما مضى وكان الله عز وجل قد كتب عليهم الجلاء ولولا ذلك عذبهم في الدنيا بالقتل والسباء"[٥٤].

كما حدثني ابن حميد قال: ثنا سلمة عن ابن اسحاق عن يزيد بن رومان ان رهطاً من بني عوف بن الخزرج منهم عبدالله بن ابي ابن سلول وديعة ومالك ابنا نوفل وسويد وداعس بعثوا الى بني النضير ان اثبتوا وتمنعوا فأنا لن نسلمكم.وان قوتلتم قاتلنا معكم وان خرجتم خرجنا معكم فتربصوا لذلك من نصرهم فلم يفعلوا وكانوا قد تحصنوا في الحصون من رسول الله ﷺ) حين نزل بهم"[٥٥].

مما سبق عرضه آنفا وجدنا ان الطبري (رحمه الله) يحاول ان يقدم معلومات مستفيظة وجيدة عن احوال الرسول محمد عليه الصلاة والسلام وهو يفسر الآيات القرآنية مما يدل على منهجه السليم والذي يتناوب بين الاقلال والاكثار في عرض مادته وحسب مصادر معلوماته الدقيقة الى حد ما.

### ٣. (قل يآيها الكافرون ..... ولي دين)[٥٦].

جاء في تفسير الطبري لهذه الايات قوله :يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد (ﷺ) وكان المشركون من قومه فيما ذكر عرضوا عليه ان يعبدوا الله سنة على ان يعبد نبي الله الهتهم سنة ،فأنزل الله معرفة جوابهم في ذلك (قل) يامحمد لهؤلاء المشركين الذين يسألونك عبادة آلهتهم سنة على ان يعبدوا الهك سنة(ياايها الكافرون) بالله (لا اعبد ماتعبدون) من الالهة والاوثان الان (ولا انتم عابدون ما اعبد) الان (ولا انا عابد) فيما استقبل (ماعبدتم) فيما مضى (ولا انتم عابدون) فيما تستقبلون ابدا (ما اعبد) الان وفيما استقبل و أنما قبل ذلك .كذلك لأن الخطاب من الله كان لرسول الله (ﷺ) في أشخاص بأعيانهم من المشركين قد علم انهم لايؤمنون ابدا وسبق لهم ذلك في السابق من علمه فأمر نبيه (ﷺ) ان يؤيسّهم من الذي طمعوا فيه،وحدثوا به انفسهم وان ذلك غير كائن منه ولا منهم في وقت من الاوقات وآيس نبي الله من الطمع في ايمانهم ومن ان يظلموا فكانوا كذلك لم يضلموا ولم ينجحوا الى ان قتل بعضهم يوم بدر بالسيف وهلك بعض قبل ذلك كافراً.

٢٣٢٢٥– حدثني محمد بن موسى الحرش قال ثنا ابو خلف قال:ثنا داؤد عن عكرمة عن ابن عباس(ان قريشاً وعدوا رسول الله (ﷺ) ان يعطوه مالاً فيكون اغنى رجل بمكة ويزوجوه ما اراد من النساء ويطئوا عقبة فقالوا له:هذا لك عندنا يامحمد وكف عن شتم الهتنا فلا تذكرها بسوء فأن لم تفعل فأن نعرض عليك خصلة واحدة فهي لك ولنا فيها صلاح قال: ماهي؟ قالوا: تعبد الهتنا سنة: اللات والعزى ونعبد الهك سنة. قال: حتى انظر ما يأتي من عند ربي فجاء الوحي من اللوح المحفوظ "قل ياايها الكافرون" وانزل الله (قل أ فغير الله تأمرونني أعبد أيها الجاهلون )(٥٧).

**٤. تفسير سورة الكوثر**

٣٨٢٢٤– حدثنا ابن بشار قال: ثنا ابن ابي عدي قال: انبأنا داؤد بن ابي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما قدم كعب بن الاشرف مكة اتوه، فقالوا له: نحن اقل السقاية والسدانة وانت سيد اهل المدينة فنحن خير ام هذا الصنوبر المنبتر من قومه، يزعم انه خير منا؟قال:بل انتم خير منه فنزلت عليه: أن شانئك هو الابتر" قال: وانزلت عليه (الم ترا الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب)"(٥٨).

٣٨١٤٨–حدثنا الربيع، قال: اخبرنا وهب عن سليمان بن بلال عن شريك بن ابي نمر قال: "لما اسري برسول الله (ﷺ) ومضى به جبريل في السماء الدنيا فأذا هو بنهر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فذهب يشتم ترابه فأذا هو مسك فقال: ياجبريل، ما هذا النهر؟ قال: هو الكوثر. الذي خبأ لك ربك"(٥٩).

٣٨١٣٤– حدثني يعقوب، قال: اثنى هشيم قال: اخبرنا عطا ابن السائب عن محارب بن دثار عن ابن عمر. انه قال: "الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب وفضة يجري على الدرّ والياقوت ماؤه، اشد من اللبن وأحلى من العسل"(٦٠).

٣٣٩٧٤– حدثني يونس بن عبد الاعلى، قال: اخبرنا ابن وهبه، قال: قال ابن زيد في قوله (ياايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) قال: لما هادن رسول الله (ﷺ) المشركين كان في الشرط الذي شرط ان ترد الينا من اتاك منا ونرد اليك من اتانا منكم فقال النبي (ﷺ) من اتانا منكم فنرده اليكم ومن اتاكم منا فأختار الكفر على الايمان

فلا حاجة لنا فيهم.قال:فأبى الله ذلك للنبي (ﷺ) في النساء ولم يأبه للرجال فقال الله عز وجل (اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) ... (واتوهم ما انفقوا)[٦١].

٣٣٩٧٥- حدثني يونس قال: اخبرني ابن وهب قال:اخبرني عمرو بن الحارث عن بكير ابن الاشج قال كان بين رسول الله (ﷺ) والمشركين هدنة فيمن فرت من النساء فأذا فرت المشركة اعطى المسلمون زوجها نفقته عليها وكان المسلمون يفعلون وكان اذا لم يعط هؤلاء ولا هؤلاء اخرج المسلمون للمسلم الذي ذهبت امرأته نفقتها"[٦٢].

٣٨٢٥٧- حدثني يونس قال: اخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قول الله (تبت يدا ابي لهب وتب) قال: التبّ: الخسران.قال: قال ابو لهب للنبي (ﷺ) مأذا أُعطى يامحمد ان امنت بك؟ قال: كما يعطى المسلمون فقال: مالي عليهم فضل؟ قال وأي شيء تبتغي؟ قال: تبا لهذا من دين تبا ان اكون انا وهؤلاء سواء فأنزل الله (تبت يد ابي لهب) يقول بما عملت ايديهم. وقيل هذه السورة نزلت في ابي لهب لأن النبي (ﷺ) لما خص بالدعوة عشيرته اذ نزل عليه (وأنذر عشيرتك الاقربين)[٦٣]. وجمعهم للدعاء قال له ابو لهب: تبا لك سائر اليوم الهذا دعوتنا؟[٦٤].

٣٨٢٦٣- حدثنا ابن حميد قال:ثنا مهران بن سفيان في قوله (تبت يدا ابي لهب) قال حين ارسل النبي(ﷺ) اليه والى غيره وكان ابو لهب عم النبي (ﷺ) وكان اسمه عبد العزى فذكرهم فقال ابو لهب: تبا لك في هذا ارسلت الينا فأنزل الله (تبت يدا ابي لهب)[٦٥].

بعد هذا العرض للنماذج التي تم اختيارها من تفسير الطبري يمكننا القول ان الامام الطبري قد بلغ حدا كبيراً من الدقة والعرض السليم لاحداث السيرة النبوية ولو قيض لباحث او دارس ان يقوم بجمع الايات ذات العلاقة باحداث السيرة لربما خرج الينا بمصنف كامل عن سيرة الرسول محمد (ﷺ) عند الامام الطبري في تفسيره والذي ميز ما قدمه اذ انه كان يسوق الاحداث من عديد من الرواة اصحاب الاسانيد السليمة ويقدمها على انها تفسيراً للآيات القرآنية في حين هو يقدم لنا سيرة جيدة و متوازنة عن حياة الرسول محمد (ﷺ).

## ثانياً: الإمام ابن كثير ت٧٧٤هـ:

الامام العلامة ابن كثيرالدمشقي ابو الفداء اسماعيل بن عمر الامام المحدث الحافظ المفتي البارع المتوفى سنة اربع وسبعين وسبعمائة صاحب (التفسير الشهير) تفسير القرآن العظيم والتاريخ المعروف بـ (البداية والنهاية) وقد ضمن هذا التاريخ كغيره من المؤرخين سيرة النبي محمد (ﷺ)ويبدو انه افرد (السيرة النبوية) بكتاب مستقل وما اودعه في المصنف (البداية والنهاية) في قسم السيرة كتاب عظيم الفائدة للمسلمين فنجد فيه آفاق ابن كثير العلمية ونجد فيه المؤرخ المحدث العلامة وفي كتابه هذا نهج منهجاً علمياً سليماً قوياً بالنسبة لعصره،اذ كان يسوق الاحداث من عديد من المصادر وميزته انه يسوق اسانيد اصحاب هذه المصادر وبعضها غير متيسر الان–مما يتيح لنا قدرة المقارنة والترجيح والحكم على الاسانيد[٦٦].

ونرى الامام الحافظ ابن كثير في مقدمة مصادره كتب الاحاديث المشهورة وعلى رأسها (المسند) لأحمد بن حنبل (والكتب الستة) و (سيرة ابن اسحاق) و (الواقدي) ومع ذلك قد يسوق ابن كثير فيما يسوق الواهيات والضعاف من الروايات وعلى الرغم من ذلك فكتابه هذا يعد من انفع الكتب في السيرة لغير المتخصصين.وهو مدخل ضروري للتخصيص كذلك وهو ميسور و الحمد لله وقد افرده الدكتور مصطفى عبد الواحد من كتاب التاريخ فزاد الامر تيسيراً ولو انه نقد نقداً كاملاً وبينت قيمة نصوصه لكان هو وسابقه انفع كتابين في السيرة من كتب الائمة السابقين[٦٨].

وبعد هذا العرض السريع للقيمة العلمية لما قدمه العلامة ابن كثير،اصبح لزاما علينا الحديث عن منهجه في كتابة السيرة النبوية فيما قدمه

١. قال الامام احمد: حدثنا ابو نوح مراد حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا سماك الحنفي ابو زميل حدثني ابن عباس حدثني عمرين الخطاب (ﷺ) قال: لما كان يوم بدر نظر النبي (ﷺ) الى اصحابه وهم ثلاثمائة ونيف ونظر الى المشركين وهم الف وزيادة فأستقبل عليه الصلاة والسلام القبلة ثم مد يديه وعليه رداؤه ثم قال: اللهم اين ماوعدتني؟انجز لي ماوعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة من اهل الاسلام فلا تعبد في الارض ابداً) قال فما زال يستغيث ربه ويدعوه حتى سقط رداءَه عن منكبيه فأتاه ابو بكر فأخذ رداؤه فرداه ثم

التزمه من ورائه ثم قال:يانبي الله كفاك مناشدتك ربك فأنه سينجزلك ماوعدك فأنزل الله عز وجل(اذ تستغيثون ربكم فأستجاب لكم اني ممدكم بألف من الملائكة مردفين"[٦٩].

فلما كان يومئذ التقوا فهزم الله المشركين فقتل منهم سبعون رجلاً واسر منهم سبعون رجلاً واستشار رسول الله (ﷺ) ابا بكر وعمر وعلياً فقال ابو بكر:يارسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان واني ارى ان تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذناه منهم قوة لنا على الكفار وعسى ان يهديهم الله فيكونوا لنا عضداً فقال رسول الله (ما ترى يا ابن الخطاب قال:قلت والله ما ارى مارأى ابو بكر ولكني ارى ان تمكنني من فلان قريب لعمر فأضرب عنقه وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة بن فلان اخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله ان ليس في قلوبنا هواده للمشركين هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم فهوى رسول الله (ﷺ). ما قال ابو بكر ولم يهو ماقلت واخذ منهم الفداء فلما كان الغد قال عمر: فغدوت الى النبي (ﷺ) وأبي بكر وهما يبكيان فقلت: يارسول الله مايبكيك انت وصاحبك فأن وجدت بكاءً بكيت وان لم اجد بكاءً تباكيت لبكائكما. قال النبي(ﷺ): (للذي عرض على اصحابك من اخذهم الفداء لقد عرض علي عذابكم ادنى من هذه الشجرة. لشجرة قريبة من النبي (ﷺ) وانزل الله عز وجل (ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض)[٧٠].

فلما كان يوم احد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من اخذهم الفداء فقتل منهم سبعون وفر اصحاب النبي (ﷺ) عن النبي (ﷺ) وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه فأنزل الله (أولما اصابكم مصيبة وقد اصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم ان الله على كل شيء قدير)[٧١].

يقول الامام احمد في مسنده اي بأخذكم الفداء[٧٢]، رواه مسلم وابو داؤد والترمذي وابن جرير وابن مردويه من طرق عن عكرمة بن عمار به[٧٣].

ويقول الامام ابن كثير في تفسير قوله تعالى ان المراد (وقتل المؤمنين للكافرين اشد اهانة للكافرين واشفى لصدور المؤمنين كما قال تعالى للمؤمنين من هذه الامة (قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشفي صدور قوم مؤمنين)[٧٤]. ولهذا كان قتل صناديد قريش بأيدي اعدائهم الذين ينظرون اليهم بأعين ازدائهم انكى لهم واشفى لصدور

حزب الايمان فقتل ابي جهل في معركة القتال وحومة الوغى اشد اهانة من موته على فراشه بقارعة او صاعقة او نحو ذلك كما مات ابو لهب لعنة الله بالعدسه بحيث لم يقربه من احد من اقاربه وانما غسلوه بالماء قذفا من بعيد ورجموه حتى دفنوه ولهذا قال تعالى (ان الله عزيز ذو انتقام) اي له العزة ولرسوله وللمؤمنين بهما في الدنيا والاخرة.(٧٥).

يقول ابن كثير عن الامام علي (ﷺ) قال: نزل جبريل في الف من الملائكة عن يمينه النبي (ﷺ)وفيها ابو بكر ونزل ميكائيل في الف من الملائكة عن ميسرة النبي (ﷺ)وانا في الميسرة وهذا يقتضي ان صح اسناده ان الالف مردفة بمثلها ولهذا قرأ بعضهم مردفين بفتح الدال والله اعلم.

والمشهور مارواه علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قال:وامد الله نبيه (ﷺ) والمؤمنين بألف من الملائكة فكان جبريل في خمسمائة من الملائكة مجنبة وميكائيل في خمسمائة مجنبة"(٧٦).

**وفي نص اخر عن يوم بدر:**

يقول الامام ابن كثير (وقد روي عن سعيد بن المسيب والشعبي والزهري وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم انه طش اصابهم يوم بدر والمعروف ان رسول الله (ﷺ) لما سار الى بدر نزل على ادنى ماء هنالك اي اول ماء وجده فتقدم اليه الحباب بن المنذر فقال:يارسول الله هذا المنزل الذي نزلته منزل انزلك الله اياه فليس لنا ان نجاوزه او منزل نزلته للحرب والمكيدة فقال: بل منزل نزلته للحرب والمكيدة فقال يارسول الله ان هذا ليس بمنزل ولكن سر بنا حتى تنزل على ادنى ماء يلي القوم ونغور ماوراءه من القلب ونستقي الحياض فيكون لنا ماء وليس لهم ماء فسار رسول الله (ﷺ) ففعل كذلك(٧٧).

ويقول ابن كثير مضيفاً على ذلك (واحسن ما في هذا ما رواه الامام محمد بن اسحاق بن يسار صاحب المغازي رحمه الله.حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال: بعث الله السماء وكان الوادي دهسا فاصاب الرسول (ﷺ) واصحابه ما لبد لهم الارض ولم يمنعهم من السير واصاب قريشاً ما لم يقدروا على ان يرتحلوا معه قال مجاهد انزل الله عليهم المطر قبل النعاس فأطفا بالمطر الغبار وتلبدت به الارض وطابت نفوسهم وثبتت اقدامهم"(٧٨).

وفي تفسير قوله تعالى (وانذر عشيرتك الاقربين)[٧٩] يقول الامام ابن كثير في تفسيرهذه الاية (حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة حدثنا عبدالملك بن عمير عن موسى بن طلحة عن ابي هريرة (ﷺ) قال: قال: لما نزلت هذه الاية (وانذر....) دعا رسول الله(ﷺ) قريشاً فعم وخص فقال: يامعشر قريش انقذوا نفسكم من النار يامعشر بني عبد مناف انقذوا انفسكم من النار يامعشر بني كعب يافاطمة بنت محمد انقذي نفسك من النار فأني والله لا املك لكم من الله شيئا الا ان لكم رحماً سائلها ببلالها)[٨٠]. وراوه مسلم والترمذي من حديث عبد الملك بن عمير ربه[٨١].

ويضيف الامام ابن كثير (وفي رواية اخرى قال الامام احمد حدثنا يزيد حدثنا محمد بن اسحق عن ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة (ﷺ) قال: قال: رسول الله (ﷺ) (يابني عبد المطلب اشتروا انفسكم من الله ياصفية عمة رسول الله ويا فاطمة بنت رسول الله أشتريا انفسكما من الله فأني لا اغني عنكما من الله شيئاً سلاني من مالي ما شئتما"[٨٢].

وفي موضع آخر يحدثنا ابن كثير عن نفس الموضوع يقول (وقال ابو يعلى: حدثنا سويد بن سعيد حدثنا ضمام بن اسماعيل عن موسى بن وردان عن ابي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: يا بني قصي يا بني هاشم يابني عبد مناف انا النذير والموت المغير والساعة والوعد".[٨٣].

وفي رواية اخرى يقول ابن كثير لرواية مسلم والنسائي من حديث سليمان ابن طرخان التيمي عن ابي عثمان ... أن النبي (ﷺ) قال:........."[٨٤].

وذكر ابن كثير كذلك في تفسيره لهذه الاية قال قال:رسول الله (ﷺ) عرفت اني ان بادءت بها قومي رأيت منهم ما اكره،فصمت فجاءني جبريل (عليه السلام) فقال:

يامحمد انك ان لم تفعل ما أمرت به عذبك ربك.قال علي فدعاني فقال:ياعلي ان الله امرني ان انذر عشيرتي الاقربين .... فأصنع لنا ياعلي شاة على صاع من طعام واعد لنا عسى لبن ثم اجمع لي بني عبدالمطلب ففعلت فأجتمعوا اليه وهم يومئذ اربعون رجلاً يزيدون رجلاً فيهم اعمامه ابو طالب وحمزة والعباس وابو لهب الكافر الخبيث فقدمت اليهم تلك الجفنة فأخذ منها رسول الله (ﷺ) حذية فشقها باسنانه ثم رمى بها في ثواجها

وقال:كلوا بأسم الله ، فأكل القوم حتى نهلوا عنه مايرى الا اثار اصابعهم والله ان كان الرجل منهم ليأكل مثلها ثم قال رسول الله (ﷺ): أسقهم ياعلي......."(٨٥).

ومن النصوص المهمة التي قدمها الامام الحافظ ابن كثير تفسير بعض الايات القرانية ومن خلاله نجده يحدثنا عن السيرة النبوية للرسول محمد عليه الصلاة والسلام بأسلوب علمي سليم بعيد عن المبالغة أو التقصير ففي تفسير لسور المسد يقول قال الامام احمد:حدثنا ابراهيم عن ابن العباس حدثنا عبدالرحمن بن ابي الزناد عن ابيه قال: اخبرني رجل يقال له ربيعة بن عباد من بني الديل وكان جاهليا فأسلم قال: رأيت النبي (ﷺ) في الجاهلية في سوق ذي الجاز وهو يقول: "ياأيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا"والناس مجتمعون عليه و وراءه رجل وضيئ الوجه احول ذو غديرتين يقول: انه صابئ كاذب يتبعه حيث ذهب فسألت عنه فقالوا: هذا عمه ابو لهب...."(٨٦).

ويضيف ابن كثير بقوله: وقال محمد بن اسحاق: حدثني حسين بن عبدالله بن عبيد الله بن عباس قال: سمعت ربيعة بن عباد/الديلي يقول: اني لمع ابي رجل شاب،انظر الى رسول الله(ﷺ) يتبع القبائل و وراءه رجل احول وضيئ الوجه ذو جحه يقف رسول الله (ﷺ) على القبيلة فيقول:يابني فلان اني رسول الله اليكم آمركم ان تعبدوا الله لاتشركوا به شيئا، وان تصدقوني وتمنعوني حتى انفذ عن الله ما بعثني به واذا فرغ من مقالته قال الاخر من خلفه: يابني فلان هذا يريد ان تسلخوا اللات والعزى وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن اقيش الى ماجاء به في البدعة والضلالة فلا تسمعوا له ولا تتبعوه فقلت لأبي :من هذا؟قالوا عمه ابو لهب" رواه احمد و الطبراني بهذا اللفظ(٨٧).

وفي نص آخر يقول ابن كثير (رحمه الله) مفسرا له (هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب"(٨٨).

يعني يهود بني النضير قاله ابن عباس ومجاهد والزهري وغير واحد كان رسول الله (ﷺ) لما قدم المدينة هادنهم واعطاهم عهداً وذمة على ان لايقاتلوهم ولايقاتلوه فنقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه فأحل الله بهم بأسه الذي لامرد له(٨٩).

وقد قال الحافظ ابو بكر البيهقي: اخبرنا ابو عبدالله الحافظ اخبرنا احمد بن كامل القاضي حدثنا محمد بن سعيد العوني حدثني ابي عن جدي عن ابن عباس قال: كان

النبي (ﷺ) قد حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ فأعطوه ما اراد منهم فصالحهم على ان يحقن لهم دماءهم وان يخرجهم من ارضهم ومن ديارهم واوطانهم وان يسيرهم الى اذرعات وجعل لكل ثلاثة منهم بعيراً وسقاء. والجلاء اخراجهم من ارضهم الى ارض اخرى وروى ايضاً من حديث يعقوب بن محمد الزهري عن ابراهيم بن جعفر عن محمود بن محمد بن مسلمة عن ابيه عن جده عن محمد بن مسلمة ان رسول الله (ﷺ) بعثه الى بني النضير وامره ان يؤجلهم في الجلاء ثلاثة ايام"[٩٠].

ويقول الامام ابن كثير شارحاً لذلك (ان رسول الله (ﷺ) لما حاصرهم أمر بقطع نخيلهم اهانة لهم وارهاباً وارعاباً لقلوبهم فروى محمد بن اسحاق عن يزيد بن رومان وقتادة ومقاتل بن حيان انهم قالوا: فبعث بنو النضير يقولون لرسول الله (ﷺ): انك تنهي عن الفساد فما بالك تأمر بقطع الاشجار؟ فأنزل الله هذه الاية الكريمة اي (ما قطعتم من لينه وماتركتم) من الاشجار فالجميع بأذنه ومشيئته وقدره ورضاه وفيه نكاية بالعدو وخزي لهم وارغام لأنوفهم.[٩١].

وفي نفس السياق يحدثنا الامام ابن كثير فيقول (وقال الامام احمد:حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن موسى بن عقبة عن نافع ابن عمر ان رسول الله قطع نخل بني النضير وحرق واخرجه صاحباه.)[٩٢]. من رواية موسى بن عقبة بنحو ولفظ البخاري من طريق عبدالرزاق عن ابن جريح عن موسى بن عقبة بن نافع عن ابن عمر قال:حارب النضير وقريظة فأجلى النضير واقر قريظة ومنّ عليهم حتى حارب قريظة فقتل من رجالهم وسبى وقسم نساءهم واولادهم واموالهم بين المسلمين الا بعضهم لحقوا بالنبي (ﷺ) فأمنهم واسلموا واجلى يهود المدينة كلهم بني قينقاع وهم رهط عبدالله بن سلام ويهود بني حارثة وكل يهود بالمدينة ولهما ايضاً عن قتيبة عن الليث بن سعد عن نافع عن ابن عمران ان رسول الله (ﷺ) حرق نخل بني النضير وقطع"[٩٣].

ومن خلال الحديث الذي يستعرضه الامام ابن كثير نجده احيانا يثني على المؤرخ محمد بن اسحاق ويترحم عليه ويشيد به فيقول:"وقد اورد ابن اسحاق رحمه الله ههنا اشعاراً كثيرة فيها آداب ومواعظ وحكم وتفاصيل للقصة تركنا باقيها اختصاراً واكتفاءاً بما ذكرناه

ولله الحمد والمنة قال ابن اسحاق: كانت وقعة بني النضير بعد وقعه احد وبعد بئر معونة وهو الاصح عندنا"[٩٤].

وعند مطالعتنا لما كتبه الامام ابن كثير في تفسيره نجده انه قد بلغ مرحلة كبيرة بالحديث عن السيرة النبوية واذا مارفعت هذه الروايات من كتابه هذا لربما كانت تمثل لنا سيرة شبه متكاملة عن حياة الرسول (ﷺ) على الاقل في المرحلة المدنية من الدعوة نجده يقول (يخبر تعالى عن المنافقين كعبد بن ابي واحزابه حين بعثوا الى يهود النضير يعدونهم النصر من انفسهم فقال تعالى (الم ترا الى الذين نافقوا يقولون لأخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم.......) قال الله تعالى (والله يشهد انهم لكاذبون) اي لكاذبون فيما وعدوهم به.اما لأنهم قالوا لهم قولاً وفي نيتهم لا يفوا لهم به وأما لأنهم لايقع منهم الذي قالوه."[٩٥].

ومن النماذج الاخرى التي قدمها لنا العلامة ابن كثير وهو يفسر لنا بعضا من الايات القرآنية وهي بحد ذاتها تمثل جزءاً مهماً من سيرة الرسول محمد (ﷺ) فمثلاً سورة الضحى وهي سورة مكية يقول:قال الامام احمد:حدثنا ابو نعيم حدثنا سفيان عن الاسود بن قيس قال:سمعت جندياً يقول اشتكى النبي (ﷺ) فلم يقِم ليلة او ليلتين فأتت امراة فقالت: يامحمد ما ارى شيطانك الا قد تركك فأنزل الله عز وجل (والضحى والليل اذا سجى ماودعك ربك وماقلى)[٩٦]. رواه البخاري ومسلم و الترمذي والنسائي وابن حاتم وابن جرير من طرف عن الاسود بن قيس عن جندب هو او ابن عبدالله البجلي ثم العلقي به وفي رواية سفيان بن عيينه عن الاسود بن قيس سمع جندياً قال: ابطا جبريل على رسول الله فقال المشركون ودع محمد فأنزل الله تعالى (والضحى....)[٩٧]. والسياق لابي سعيد قال: ان هذا المرأة هي ام جميل امرأة ابي لهب،عم الرسول (ﷺ)[٩٨].

ومن مميزات المنهج عند الامام ابن كثير انه يقدم لنا الرواية المتعلقة بموضوع الحديث عن عدة طرق الا انه لم يبين رأيه في ايهما اسلم او ارجح ففي نفس الموضوع يقول حدثنا ابو كريب حدثنا وكيع عن هشام ابن عروة عن ابيه قال ابطأ جبريل على النبي (ﷺ) فجزع جزعاً شديداً فقالت خديجة اني ارى ربك قد قلاك مما ترى من جزعك قال: فنزلت (والضحى .....وماقلى)[٩٩].

قال العوني عن ابن عباس: لما نزل على رسول الله (ﷺ) القرآن ابطأ عنه جبريل اياماً فتغير بذلك فقال المشركون: ودعه ربه وقلاه فأنزل الله (ما ودعك ربك وماقلى).

ويضف العلامة ابن كثير حديثه بالقول ثم قال تعالى يعدد نعمه على عبده ورسوله محمد صلوات الله عليه وسلامه (أ لم يجدك يتيماً فآوى) وذلك ان اباه توفي و هو حمل في بطن امه وقيل بعد ان ولد ﷺ ثم توفيت أمه امنة بنت وهب وله من العمر ست سنين ثم كان له في كفالة جده عبد المطلب الى ان توفي وله من العمر ثمان سنين فكفله عمه ابو طالب ثم لم يزل يحوطه وينصره يرفع من قدره ويوقره ويكف عنه اذى قومه بعد ان ابتعثه الله على رأس اربعين سنة من عمره هذا وابو طالب على دين قومه من عبادة الاوثان وكل ذلك بقدر الله وحسن تدبيره الى ان توفي ابو طالب قبل الهجرة بقليل فأقدم عليه سفهاء قريش وجهالهم فأختار الله له الهجرة من بين اظهرهم الى بلد الانصار من الاوس والخزرج كما اجرى الله سنته على الوجه الأتم الاكمل فلما وصل اليهم آووه ونصروه وحاطوه وقاتلوا بين يديه اجمعين وكل هذا من حفظ الله له وكلاءته وعنايته به.)[١٠٠].

وقوله تعالى (ووجدك ضالاً فهدى) ومنهم من قال ان المراد بهذا ان النبي (ﷺ) ظل في شعاب مكة وهو صغير ثم رجع وقيل انه ظل وهو مع عمه في طريق الشام وكان راكباً ناقة في الليل فجاء ابليس فعدل بها عن الطريق فجاء جبريل فنفخ ابليس نفخة ذهب منها الى الحبشة.ثم عدل بالراحلة الى الطريق حكاهما البغوي[١٠١].

وقوله تعالى (ووجدك عائلاً فأغنى) اي: كنت فقيراً ذا عيال فأغناك الله عمن سواه فجمع له مابين مقامين الفقير الصابر والغني الشاكر صلوات الله وسلامة عليه"[١٠٢].

وينقل لنا ابن كثير ماذكره محمد بن اسحاق عن هذا المسألة فيقول (وقال محمد بن اسحاق: ما جاءك من الله من نعمة وكرامة من النبوة فحدث فيها واذكرها وادع اليها قال: فجعل رسول الله (ﷺ) يذكر ما انعم الله به عليه من النبوة سراً الى من يطمئن اليه من اهله وافترضت عليه الصلاة فصلى"[١٠٣].

وجاء في تفسير سورة (أ لم نشرح لك صدرك) عند الامام ابن كثير بقوله:" قال عبدالله بن الامام احمد:حدثني البزاز حدثنا يونس بن محمد حدثنا معاذ بن محمد بن ابي بن كعب حدثني ابو محمد بن معاذ عن معاذ عن محمد عن ابي بن كعب ا ن ابا هريرة

كان جريئا على ان يسأل رسول الله (ﷺ) لا يسأله عنها غيره فقال: يارسول الله ما اول ما رأيت من أمر النبوة فاستوى رسول الله (ﷺ) جالساً وقال: لقد سألت يا ابا هريرة اني لفي الصحراء ابن عشر سنين و اشهر و اذا بكلام فوق رأسي واذا رجل يقول لرجل: أهو هو فأستقبلاني بوجوه لم ارها قط وارواح لم اجدها من خلق قط وثياب لم ارها على احد قط فأقبلا اليّ يمشيان حتى اخذ كل واحد منهما بعضدي لا اجد لأحدهما مساً فقال احدهما لصاحبه:اضجعه فأضجعاني بلا قصر ولا هصر فقال احدهما لصاحبه: افلق صدره فهوى احدهما الى صدري ففلقه فيما ارى بلا دم ولا وجع فقال له: اخرج الغل والحسد فأخرج شيئا كهيئة العلقة ثم نبذها فطرحها فقال:ادخل الرأفة والرحمة فإذا مثل القمر الذي اخرج شبه الفضة ثم هز ابهام رجلي اليمنى فقال: اغد واسلم فرجعت بها اعدو رقه على الصغير ورحمة على الكبير)(١٠٤).

## ثالثاً: العلامة ألسمرقندي

ومن العلماء المفسرين من الذين تم اختيارهم كنماذج لهذه الدراسة الامام العلامة السمرقندي ابو الليث نصر بن محمد بن ابراهيم المتوفى عام ٣٧٥هـ وقيل ٣٨٣هـ والذي اشتهر بكتابه تفسير السمرقندي المسمى ايضا بحر العلوم الذي حققه وعلق عليه الاستاذ عادل احمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض والدكتور زكريا عبدالمجيد النوفي والمنشور في بيروت بدار الكتب العلمية في طبعته الاولى لسنة١٤٢٧هـ\٢٠٠٦م .

لم يعرف على وجه التحديد العام الذي ولد فيه ابو الليث لانهم لم يكونوا يتوقعون ان يكون عالما ذا شأن و الا [وهذا غيب بحت] لسجلوا مولده(١٠٥).

وعرف بلقب الفقيه وهو لقب اشتهر به وهو يدل على انه وصل من علم الفقه مرتبة عظيمة لايدانيه فيها احد من معاصريه(١٠٦).

وقد حرص المحققون لتفسير السمرقندي كل الحرص على ان يخرج عملهم على الوجه اللائق كتفسير لكتاب الله عز وجل(١٠٧).

بعد هذا العرض السريع لترجمة الامام الفقيه السمرقندي سيتم اختيار عدة نصوص قرآنية ذات علاقة بالسيرة للتعرف على المنهج الذي سلكه الامام السمرقندي في تفسيره.

يقول الامام السمرقندي في تفسير قوله تعالى: (الم*غلبت الروم*في ادنى الارض وهم من بعدهم غلبهم سيغلبون)[١٠٨] يعني قهرت الروم (في ادنى الارض) مما يلي فارس يعني ارض الاردن وفلسطين (وهم) يعني اهل الروم (من بعد غلبهم سيغلبون) اهل فارس وذلك ان النبي (ﷺ) كتب الى قيصر ملك الروم يدعوه الى الاسلام فقرأ كتابه وقبله ووضعه على عينيه وخاتمه بخاتمه ثم اوثقه على صدره ثم كتب جواب كتابه انا نشهد انك نبي ولكنا لانستطيع ان نترك الدين القديم الذي (اصطفى لعيسى فعجب النبي (ﷺ) وقال ثبت الله ملكهم الى يوم القيامة الى أدنى الارض منها يفتح الله عز وجل على المسلمين وكتب الى كسرى ملك فارس فمزق كتابه ورجع الرسول بعد ما اراد قتله فأخبر النبي (ﷺ) بذلك فقال (ﷺ)، وقد مزق الله ملكهم فلا ملك لهم ابدا اذا مات كسرى فلا كسرى بعده فلما ظهرت فارس على الروم اغتم المسلمون لذلك.فنزل قوله تعالى (الم*غلبت الروم.... ستغلبون) وقال في رواية الكلبي ان مشركي قريش شمتوا حين غلب المشركون اهل الكتاب فقال لهم ابو بكر (ﷺ) لم تشمتون؟ ليظهرن الروم عليهم فقال ابي بن خلف والله لايكون ابدا فتبايعا ابو بكر وابي خلف لتظهرن الروم على اهل فارس الى ثلاث سنين على تسع ذود.

يبدو ان رواية السمرقندي حول كتاب النبي (ﷺ) الى هرقل تحتاج الى معالجة ان الوصف الذي قدمه حول استقبال هرقل للكتاب يوحي بأن ملك الروم كان مؤمنا بدعوة ورسالة محمد عليه الصلاة والسلام الا انه اثر اتباع ديانة الاباء على الدخول في الدين الجديد وان الرسول (ﷺ) بعد ما علم بهذا الاحتفاء دعا له بأن يثبت ملكه الى الابد في حين نرى بعد اقل من بضع سنين سقط هرقل وكسرى ان ذلك يدل ان تفسير السمرقندي لا يخلو من الاسرائيليات والنصرانيات التي تمجد للديانات السابقة ألإسلام.

وفي تفسير قوله تعالى (هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين) يقول الإمام السمرقندي (وذلك ان النبي (ﷺ) تجهز في سنة ست في ذي القعدة فخرج الى العمرة معه الف وستمائة رجل ويقال الف واربعمائة واصحابه فبعثوا خالد بن الوليد في عصابة منهم ليصدوا النبي (ﷺ) واصحابه عن البيت فلما نزل بعسفان قال:أن قريشاً جعلت لي عيوناً فمن يدلني على طريقة الثنية فقال رجل من المسلمين انا يارسول الله فخرج بهم وانتهوا الى

الثنية وصعدوا منها فلما هبط رسول الله (ﷺ) من الثنية بركت ناقته القصواء فلم تنبعث فرجوها وزجرها الناس وضربوها فلم تنبعث فقال الناس خلأت القصواء اي صارت حروناً فقال النبي (ﷺ) ما خلأت القصواء وما كان ذلك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال لايسألوني فيما بيني وبينهم شيئاً يعظمون به حرماتهم الا قبلته منهم ثم زجرها فأنبعثت فلما نزلوا على القليب بالحديبية لم يكن في البئر الا ماء وشيك يعني قليل متغير فأستسقوا قلم يبق في البئر ماء فقال من رجل يهيج لنا الماء فقال رجل انا يارسول الله فقال:ما اسمك ؟ قال: مرة فقال: تأخر فقال رجل أخر انا يارسول الله فقال ما اسمك :قال ناجيه فقال:انزل فأعطاه رسول الله مشقصاً فبحث فالبئر فنبع الماء)[١٠٩].

ويستعرض الامام السمرقندي تفاصيل الاحداث في صلح الحديبية (يقول فكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله سهيل بن عمرو .الا تقاتلنا ولا نقاتلك سنتين وندخل في حلفنا من نشاء وتدخلوا في حلفكم من شئتم وعلى انكم تأتون في العام المقبل و تقيمون ثلاثة ايام ثم ترجعون وعلى ان من جاء منا اليكم لا تقبلوه وتردوه الينا ومن جاءكم الينا فهو منا فلا نرده اليكم فشق ذلك الشرط على المسلمين فقالوا:يارسول الله من لحق بهم منا فهو لهم.، فقال رسول الله (ﷺ) فأما من لحق بهم منا فأبعده الله واولى بمن كفر واما من اراد ان يلحق بنا منهم فسيجعل الله له مخرجاً فجاء ابو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد يعني يمشي مشي الاعرج ،وقد اسلم فأوثقه ابوه حين خشي ان يذهب الى النبي (ﷺ) فلما وقع في ظهراني المسلمين.قال اني مسلم فجاء ابوه فقال: انما كتبنا الكتاب الساعة فقال عمر بن الخطاب ﷺ، يارسول الله اليس الله حق وانت حق؟ قال بلى قال ونحن قوم مؤمنون ؟ وهم كفار ؟قال بلى،قال:فلم نعطي الدنية في ديننا قال انما كتبنا الكتاب الساعة[١١٠].

ونجد الامام السمرقندي عندما يستعرض عديداً من الروايات ذات العلاقة بسيرة الرسول محمد (ﷺ) فيستعرضها من خلال تفسير الايات القرآنية ذات العلاقة بالاحداث ويقدمها بصورة جيدة تكاد تفوق اصحاب السير والمغازي لما فيها من دقة وسلامة فنجده عندما يتحدث عن تفسير قوله تعالى (هو الذي اخرج الذين كفروا (يعني يهود بني النضير) من اهل الكتاب من ديارهم) وكان بدأ امر بني النضير الى النبي (ﷺ) بعث ثلاث بعوث

احد البعوث مرشد بن ابي مرشد الغنوي[١١١]. وامره على سبعة نفر الى بعض النواحي فساروا حتى جاؤا بطن الرجيع فنزلوا عند شجرة فأكلوا من تمر عجوة كانت معهم فسقطت نوايات بالارض وكان يسيرون بالليل فكمنوا بالجبل[١١٢]. فجاءت امراة من هذيل ترى الغنم فرأت النوايات التي سقطت في الارض فأنكرت صغرهن فعرفت انها تمر المدينة فصاحت في قولها انتم إبتيتم فجاؤا يطلبونها فوجدوهم قد كمنوا في الجبل فقالوا لهم انزلوا ولكم الامان فقالوا لا نعطي بأيدينا فقاتلوهم فقتلوا كلهم الا عبدالله بن طارق فجرحوه وحسبوا انه قد مات فتركوه فنجا من بينهم وبقى اخوهم عاصم بن ثابت بن الافلح ففرغ جعبته ثم جعل يرميهم ويرتجز ويقاتلهم حتى فنيت نبله ثم طاعن بالرمح حتى انكسر الرمح وبقى السيف قال الله اني قد حميت دينك اول النهار فاحم جسدي في اخره وكانوا يجردون من قتل من اصحابه فلما قتلوا عاصما حمته الدبر وهي الزنابير حتى جاء السيل من الليل فذهب به الدبر واسروا خبيب بن عدي ورجل آخر اسمه زيد بن الدثنة)[١١٣].

**رابعاً:- الإمام القرطبي: ت ٢٧١ هـ**

ومن العلماء المفسرين من الذين تم اختيارهم كذلك كنماذج لهذه الدراسة الامام العلامة المحقق أبو عبد الله بن احمد بن ابي بكر بن فرج بسكون الراء الانصاري الخزرجى الأندلسي القرطبي نزيل منية بني خصيب من الديار المصرية المتوفى ٢٧١ هـ وبعد كتابه الجامع لأحكام القران من اجل كتب التفسير لما فيه من علمية ومنهجية كبيرة والذي قام على الاعتناء به فضيلة الشيخ خليل محي الدين الميس والذي طبع في دار الفكر طبعة الأولى سنة ١٤٢٤هـ\٢٠٠٣م قال فيه صاحب نفخ الطيب:–

(قال عبدالكريم في حقه:انه من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا.المشتغلين بما يعينهم من الامور الاخرة فيما توجه وعبادة وتصنيف)[١١٤].

يحدثنا الامام القرطبي في الجزء العاشر من تفسيره عند شرحه لقوله تعالى في سورة الاسراء (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون بالاخرة حجابا مستورا)[١١٥]. عن طلبه ومطاردته من قبل العدو وكيف تمكن من الفرار وهو محجوب

عنهم يقرآه القرآن فيقول: قلت: ولقد اتفق لي ببلاد الاندلس بحصن منثور من اعمال قرطبة مثل هذا وذاك اني هربت امام العدو وانحزت الى ناحية عنه فلم البث ان خرج في طلبي فارسان وانا في فضاء من الارض قاعد ليس يسترني عنهما شيء وانا اقرأ اول سورة (يس) وغير ذلك من القرآن فعبرا علي ثم رجعا من حيث جاءا واحدهما يقول للآخر :هذا ديبله يعنون شيطانا واعمى الله عز وجل ابصارهم فلم يروني والحمد لله حمداً كثيراً على ذلك. وكان الإمام فهما حسن الحفظ مليح النظم حسن الذاكرة ثقة حافظاً"[١١٦].

توفي الإمام القرطبي رحمه الله بالمنية اوائل سنة احدى وسبعين وستمائة.قال الذهبي بل سنة ثمان وستين وستمائة هجرية.

سمع من الشيخ ابي العباس احمد بن عمر القرطبي صاحب المفهم في شرح مسلم. وابن رواح وابن الجميزي وعدة وكان من اوعية العلم[١١٧].

وحدث عن ابي علي الحسن بن محمد البكري وغيره روى عنه بالاجازة ولده شهاب الدين ابو العباس بالمنية واخذ عنه ابو عبدالله الوالي.

وله العديد من المصنفات منها:

- كتاب الاسنى في اسماء الله الحسنى.
- كتاب التذكرة في امور الاخرة.
- كتاب التذكار في افضل الاذكار.
- كتاب شرح التقصي[١١٨].

وتاج مؤلفاته الجامع لاحكام القرآن المبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، الذي سارت به الركبان وهو كتاب فريد في بابه نقي ،وحشاه بكل فريدة عن المدارس الفقهية في العصر الذي عاش فيه[١١٩].

واذا اردنا الحديث عن منهجه في التفسير سنعمد الى اختيار عدة نصوص قرآنية ونتعرف من خلالها على اسلوبه ومنهجه في عرض سيرة الرسول محمد (ﷺ).

يقول الامام القرطبي عند تفسيره قوله تعالى (ورهبانية ابتدعوها) وفي الاية دليل على العزلة عن الناس في الصوامع والبيوت وذلك مندوب اليه عند فساد الزمان و تغير الاصدقاء والاخوان وقد مضى بيان هذا في سورة الكهف ،مستوفي والحمدلله وفي مسند

احمد بن حنبل من حديث ابي امامه الباهلي (ﷺ) قال: خرجنا مع رسول الله (ﷺ) في سرية من سراياه فقال:مر رجل بغار فيه شيء من ماء فحدث نفسه بأن يقيم في ذلك الغار فيقوته ما كان فيه من ماء ويصيب ما حوله من البقل ويتخلى عن الدنيا.قال: لو اني اتيت النبي (ﷺ) فذكرت ذلك له فأن اذن لي فعلت والا لم افعل فأتاه فقال: يانبي الله مررت بغار فيه مايقوتني من الماء والبقل فحدثتني نفسي بأن اقيم فيه واتخلى من الدنيا قال: فقال النبي (ﷺ) (اني لم ابعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكني بعثت بالحنيفية السمحة والذي نفس محمد بيده لغدوة او روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ولمقام احدكم في الصف الاول خير من صلاته ستين سنة[١٢٠].

ويضيف ايضا الامام القرطبي عن الرسول (ﷺ) فمن آمن بي واتبعني وصدقني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الفاسقون) يعني الذين تهودوا وتنصروا وقيل هؤلاء الذين ادركوا محمد (ﷺ) فلم يؤمنوا به فأولئك هم الفاسقون وفي الاية تسليمه للنبي (ﷺ) اي ان الاولين اصروا على الكفر ايضا فلا تعجب من اهل عصرك ناصروا على الكفر، الله اعلم[١٢١].

ويقول الامام القرطبي في تفسير قوله تعالى (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله....) روى البخاري عن يزيد بن ارقم قال: كنت مع عمي فسمعت عبدالله بن ابي بن سلول يقول (لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) وقال: (لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل) فذكرت ذلك لعمي فذكر عمي لرسول (ﷺ) فأرسل رسول الله (ﷺ) الى عبدالله بن ابي واصحابه فحلفوا ماقالوا: فصدقهم رسول الله وكذبني: فأصابني هم لم يصيبني مثله فجلست في بيتي فأنزل الله عز وجل (اذا جاءك المنافقون) الى قوله (هم الذين يقولون لا ينفقوا علي من عند رسول الله الى قوله (ليخرجن الاعز منها الاذل) فأرسل الي رسول الله (ﷺ) ثم قال (ان الله قد صدقك) خرجه الترمذي قال هذا حديث حسن صحيح وفي الترمذي عن زيد بن ارقم قال:غزونا مع رسول الله (ﷺ) وكان معنا اناس من الاعراب فكنا نبدر الماء وكان العرب يسبقونا اليه فيسبق الاعرابي اصحابه فيملاء الحوض ويجعل حوله حجارة ويجعل النطع عليه حتى تجيء اصحابه قال:فأتى رجل من الانصار اعرابيا فأرض زمام ناقته لتشرب فأبى ان يدعه فأنتزع حجرا ففاض الماء

فرفع الاعرابي خشبة فضرب بها رأس الانصاري فشجه فأتى عبدالله بن ابي بن سلول رأس المنافقين فأخبره وكان من اصحابه فغضب عبدالله بن ابي ثم قال: لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله–يعني الاعراب–وكانوا يحضرون رسول الله (ﷺ) عند الطعام فقال عبدالله:اذا انفضوا من عند محمد فأتوا محمد بالطعام ليأكل هو و من عنده ثم قال لأصحابه: لئن رجعتم الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال زيد: وانا ردف عمي فسمعت عبدالله بن ابي فأخبرت عمي، فانطلق فأخبر رسول الله (ﷺ) فأرسل اليه فحلف وصحبه قال فصدقه رسول الله وكذبني قال: فجاء عمي الي فقال: ما اردت الى ان نعتك رسول الله (ﷺ) وكذبك والمنافقون قال فوقع علي من جرأتهم مالم يقع على أحد فبينما اسير مع رسول الله (ﷺ) في سفر قد خففت رأسي من الهم اذا اتاني رسول الله (ﷺ) فعرك اذني وضحك في وجهي فما كان يسرني ان لي لها الخلد في الدنيا... ثم ان ابا بكر لحقني فقال:ما قال لك رسول الله... قلت ما قال شيء الا انه عرك اذني وضحك في وجهي فقال ابشرتم لحقني عمر فقلت له مثل قولي لأبي بكر فلما اصبح قرأ رسول الله (ﷺ) سورة المنافقين.قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح(١٢٢).

ونستمر مع الامام القرطبي في تفسير للآيات القرآنية ذات العلاقة بالسيرة النبوية والتي من خلالها نجده يقدم لنا معلومات مستفيضة في الحياة الاجتماعية لحياة الرسول (ﷺ) ففي حديثه عن معنى قوله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم)(١٢٣).

يقول الامام القرطبي ثبت في صحيح مسلم عن عائشة (رضي الله عنها) ان النبي (ﷺ) كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلاً قالت فتواطأت انا وحفصة ان آيتّنا ما دخل عليها رسول الله (ﷺ) فلتقل: اني اجد منك ريح مغافير أكلت مغافيرا؟(١٢٤) فدخل على احداهما فقالت له ذلك فقال: "بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن اعود له) فنزل: "لم تحرم ما احل الله لك" الى قوله "ان تتوبا" لعائشة وحفصة (واذا اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا) لقوله: (بل شربت عسلا) وعنها ايضا قالت كان رسول الله (ﷺ) يحب الحلواء والعسل فكان اذا صلى العصر دار على نسائه فيدنو منهن فدخل على حفصة فأحتبس عندها اكثر مما كان يحتبس فسألت عن ذلك فقيل لي: اهدت

لها امرأة من قومها عكة من عسل فسقت رسول الله منه شربه فقلت والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة وقلت: اذا دخل عليك فأنه سيدنو منك فقولي له: يارسول الله اكلت مغافير؟ فأنه سيقول لك لا فقولي له: ما هذه الريح؟ وكان رسول الله يشتد عليه ان يوجد منه الريح. فأنه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل فقولي له: جرست نخلة العرفط وسأقول ذلك له وقوليه انت ياصفية فلما دخل على سودة قالت: تقول سودة والله الذي لا اله الا هو كدت ان ابادئه بالذي قلت لي وانه لعلى الباب فرقاً منك فلما دنا رسول الله (ﷺ) قلت: يارسول الله اكلت العرفط فلما دخل على حفصة قالت : يارسول الله، الا اسقيك منه قال: (لا حاجة لي به) تقول: سودة سبحان الله: والله لقد حرمناه، قالت: قلت لها اسكتي ففي هذه الرواية ان التي شرب عندها العسل هي حفصة وفي الاولى زينب. وروى ابن ابي ملكية عن ابن عباس انه شربه عند سودة وقد قيل انما هي ام سلمة. رواه اسباط عن السدي وقاله عطاء بن ابي مسلم: ابن العربي: وهذا كله جهل او تصور بغير علم. فقال باقي نسائه حسدا وغيرة لمن شرب ذلك عندها : ان لنجد منك ريح المغافير .والمغافير بقلة او صمغة متغير الرائحة فيها حلاوة واحداها مغفور وجرست: اكلت والعرفط: نبت له ريح كريح الخمر وكان عليه الصلاة والسلام يعجبه ان يوجد منه الريح الطيبة او يجدها ويكره الريح الخبيثة لمناجاة الملك)[١٢٥].

وفي نص اخر نجد الامام القرطبي يتفوق على اصحاب السير والمغازي عندما نراه يفسر قوله تعالى: (ما ودعك ربك وماقلى) يقول: وكان جبريل ﷺ ابطأ على النبي (ﷺ) فقال المشركون قلاه الله وودعه فنزلت الاية وقال ابن جريج: احتبس عنده الوحي اثني عشر يوماً[١٢٦] وقال ابن عباس خمسة عشر يوما وقيل خمسة وعشرين يوما وقال مقاتل : اربعين يوما، فقال المشركون ان محمداً ودعه ربه وقلاه ولو كان امره من عند الله لتابع عليه كما كان يفعل بمن كان قبله من الانبياء وفي البخاري عن جندب بن سفيان قال: (اشتكى رسول الله (ﷺ) فلم يقيم ليلتين او ثلاث فأنزل الله عز وجل (والضحى والليل اذا سجى ماودعك ربك وماقلى ) وفي الترمذي عن جندب البجلي قال: (كنت مع النبي (ﷺ) في غار فدميت اصبعه فقال النبي (ﷺ) هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله مالقيت) قال: وابطأ عليه جبريل فقال المشركون:قد ودع محمد:فأنزل الله تبارك وتعالى

(ماودعك ربك وماقلى) هذا حديث حسن صحيح لم يذكر الترمذي: (فلم يقيم ليلتين او ثلاثاً) اسقطه الترمذي وذكره البخاري وهو اصح ماقيل في ذلك والله اعلم.[١٢٧].

وفي النصوص ذات الفائدة من التي ذكرها الامام القرطبي تفسير قوله تعالى (يا ايها المزمل...) قال الامام السهيلي : ليس المزمل بأسم من اسماء النبي (ﷺ) ولم يعرف به كما ذهب اليه بعض الناس وعدوه في اسمائه ﷺ وانما المزمل اسم مشتق من حالته التي كان عليها من حيث الخطاب وكذلك المدثر وفي خطابه بهذا الاسم فائدتان :احدهما الملاحظة:فأن العرب اذا قصدت ملاحظة المخاطب وترك المعاتبة سموه باسم مشتق من حالته التي هو عليها كقول النبي(ﷺ) لعلي حين غاضب فاطمة (رضي الله عنها) فأتاه وهو نائم وقد لصق بجبينه التراب فقال له: "قم يا ابا تراب"اشعارا له انه غير عاتب عليه وملاحظة له وكذلك ﷺ لحذيفة : "قم يا نومان" وكان نائما ملاحظة له واشعارا لترك العتب والتأنيب فقول الله تعالى لمحمد (ﷺ) (ياايها المزمل قم) فيه تأنيس وملاحظة ليستشعر انه غير عاتب عليه"[١٢٨].

يكاد الامام القرطبي يتميز على علماء الامة في انه قدم الشيء الكثير وهو يستعرض لنا تفسير الايات القرانية والتي من خلالها يحدثنا بشكل علمي دقيق سليم عن تفاصيل مهمة من حياة الرسول (ﷺ) فنجده عندما يفسر قوله تعالى: " هو الذي بعث في الامين رسولا منهم..... ضلال مبين"[١٢٩] يعني قوله تعالى: هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم"قال ابن عباس: الاميون العرب كلهم ومن لم يكتب منهم لأنهم لم يكونوا اهل كتاب وقيل الاميون الذين لايكتبون وكذلك كانت قريش وروى منصور عن ابراهيم قال:الامي الذي يقرأ ولايكتب وقد مضى في (البقرة)، (رسولا منهم) يعني محمداً.وما من حي من العرب الا ولرسول الله (ﷺ) فيهم قرابة وقد ولدوه قال ابن اسحاق الاحي تغلب فأن الله تعالى طهر نبيه (ﷺ) منهم لنصرانيتهم فلم يجعل لهم عليه ولاده وكان اميا لم يقرا من كتاب ولم يتعلم عليه الصلاة والسلام قال الماوردي:فأن قيل ما وجه الامتنان فأن بعث نبيا اميا؟

فالجواب عنه ثلاثة اوجه احدها: لموافقته ما تقدمت به بشارة الانبياء، الثاني: لمشاكلة حاله لاحوالهم فيكون اقرب الى موافقتهم والثالث : لينتفي عنه سوء الظن في تعليمه مادعي اليه من الكتب التي قرأها والحكم التي تلاها(١٣٠).

وعندما فسر الامام القرطبي قوله تعالى (ياايها الذين امنوا اذا نودي للصلاة من الجمعة)(١٣١).

نجده يتحدث بلسان العارف للامور ذات العلاقة بالاحوال المبتدئة للخلق الانساني والكوني يقول وعن سلمان ان النبي (ﷺ) قال: "انما سميت جمعة لان الله جمع فيها خلق آدم) وقيل لأن الله تعالى فرغ فيها ممن خلق كل شيء فأجتمعت فيها المخلوقات وقيل لتجتمع الجماعات فيها وقيل لاجتماع الناس فيها للصلاة (من) اي فتعالوا فلنجتمع حتى نجعل يوما لنا نذكر الله ونصلي فيه ونستذكر –او كما قالوا–فقالوا:يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فأجعلوه يوم العروبة فأجتمعوا الى اسعد بن زراره (ابو امامة ﷺ) فصلى يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة،حين اجتمعوا.فذبح لهم اسعد شاة فتعشوا وتغدوا منها لقلتهم فهذه اول جمعة في الاسلام)(١٣٢).

ان مثل هذه المعلومات التي قدمها الامام القرطبي في تفسيره للعديد من الايات القرانية لتدل على انه كان عارفا بأحوال السيرة النبوية وانه كان متمكنا منها فنجده يعرض الاحداث بشكل جيد بعيدا عن السهو او الاختلاط ليس هذا فقط بل انه يتحدث عن طبيعة الدعوة وكيف اوصل الرسول (ﷺ) دعوته الى الناس من دون خوف او ارتباك فنجده عندما يفسر قوله تعالى (الرحمن علم القرأن...) يقول وروي ان قيس بن عاصم المنقري قال للنبي (ﷺ) اتل علي مما انزل عليك فقرا عليه سورة الرحمن فقال اعدها فاعادها ثلاثاً فقال: والله ان له لطلاوة وان عليه لحلاوة، واسفله لمغدق واعلاه مثمر وما يقول هذا بشر انا اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله"وروي كذلك عن علي (ﷺ) ان رسول الله (ﷺ) قال: "لكل شيء عروس وعروس القرآن هو سورة الرحمن(١٣٣).

وفي تفسيره لقوله تعالى (لايستوي منكم من انفق قبل الفتح وقاتل) يقول الامام القرطبي وقال الكلبي: نزلت في ابي بكر (ﷺ) ففيها دليل واضح على تفضيل ابي بكر (ﷺ) وتقديمه، لانه اول من اسلم وعن ابن مسعود: اول من ظهر للاسلام بسيفه النبي

وابو بكر الصديق ولانه اول من انفق على نبي الله عليه الصلاة والسلام وعن ابن عمر قال:كنت عند النبي (ﷺ) وعنده ابو بكر وعليه عباءة وقد خللها في صدره بخلال فنزل جبريل ﷺ فقال: يانبي الله مالي ارى ابا بكر عليه عباءة قد خللها في صدره بخلال، فقال (قد انفق علي ماله قبل الفتح)(١٣٤).

قال فأن الله يقول لك اقرأ على ابي بكر السلام وقل له اراضٍ انت في فقرك ام ساخط؟فقال رسول الله (ﷺ): يا ابا بكر ان الله عز وجل يقرأ عليك السلام وهو يقول اراضٍ انت في فقرك ام ساخط؟ فقال ابو بكر: أ أسخط على ربي؟ اني عن ربي راضٍ: اني عن ربي راضٍ: اني عن ربي راضٍ قال: فأن الله يقول لك قد رضيت عنك كما انت عني راضٍ فبكى ابو بكر"(١٣٥).

**خامساً: الإمام الرازي: عاش ما بين ٥٤٤-٦٠٤هـ:**

ومن العلماء المفسرين من الذين تم انتخابهم لهذه الدراسة الامام العلامة فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي الذي عاش مابين ٥٤٤–٦٠٤هـ والذي اشتهر بمصنفه الشهير تفسير الرازي وتم اختيار الطبعة الثانية عشر لهذه الدراسة والصادرة في بيروت من دار الكتب العلمية سنة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

واحيانا اخرى يطلق على مصنفه مفاتيح الغيب والعلامة فخر الدين يعد من المتكلمين الاصوليين وصاحب التصانيف الشهيرة وحسبه فضلا وعلو منزله ان علماء الاصول اذا نقلوا عنه قالوا: وقال الامام او عند الامام واذا قالوا قال الامام بدون ذكر اسم بعده لم يريدوا غيره في كل عباراتهم وكتبهم(١٣٦).

تلقى الامام الرازي العلم عن ابيه الامام ضياء الدين خطيب الري صاحب الامام البغوي وكان الفخر ينعت (بأبن خطيب الري) نسبة الى ابيه فأشتغل على ابيه الى ان مات ثم قصد الكمال السمعاني واشتغل عليه مدة ثم عاد الى الري، واشتغل بالعلوم الحكمية فقرأ الحكمة ببراعة على مجد الدين الجيلي وكان مجد الدين من اعلام زمانه.

وقد ذكر ابن خلكان شيوخه في الكلام و الاصول والفقه فقال: "وذكر فخر الدين في كتابه الذي سماه تحصيل الحق انه اشتغل في علم الاصول على والده ضياء الدين عمر ووالده علي ابي القاسم سليمان بن ناصر الانصاري. وهو على امام الحرمين ابي المعالي الجويني وهو على الاستاذ ابي اسحاق الاسفراييني وهو على الشيخ ابي الحسين الباهلي وهو علي شيخ السنة ابي الحسن علي بن اسماعيل الاشعري وهو علي ابي علي الجبائي اولا ثم رجع عن مذهبه ونصر مذهب اهل السنة والجماعة[١٣٧].

ويضيف كذلك ابن خلكان فيقول: ان كتبه ممتعة وقد انتشرت تصانيفه في البلاد ورزق فيها سعادة عظيمة فأن الناس اشتغلوا بها ورفضوا كتب المتقدمين وهو اول من اخترع الترتيب الذي نجده في كتبه واتى فيها بما لم يسبق اليه وفيما يأتي بعضا منها:-

١. كتاب التفسير الكبير واسمه مفاتيح الغيب.
٢. كتاب تفسير الفاتحة وبيان انها تشتمل على الاف المسائل.
٣. كتاب التفسير الصغير واسمه اسرار التنزيل وانوار التاويل.
٤. كتاب نهاية العقول.
٥. كتاب المحصول في علم اصول الفقه.

فضلا عما يزيد عن ستين مصنفاً انجزها قبل وفاته (رحمه الله) وثمان مؤلفات توفي قبل اتمامها منها:

١. كتاب شرح سقط الزند.
٢. كتاب شرح نهج البلاغة.
٣. كتاب شرح التشريح من الرأس الى الحلق.
٤. كتاب شرح المفصل للزمخشري.
٥. كتاب الجامع الكبير في الطب.[١٣٨].

ومن اجل التعرف على منهج الامام الرازي في كتاب السيرة النبوية ستعمد على اختيار مجموعة من الايات القرآنية ذات العلاقة بالموضوع لكي نتعرف من خلال تفسيرها على منهجه في تقديم السيرة.

(الم ترا كيف ربك باصحاب الفيل) روي ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصححه النجاشي بني كنيسة بصنعاء سماها (القُليس) واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج من بني كنانة رجل تغوط فيها ليلاً فأغضبه ذلك"[١٣٩].

وقيل اججت رفقة من العرب نارا فحملتها فأحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما وثمانية اخرى،وقيل اثنا عشر وقيل الف فلما بلغ قريبا من مكة خرج اليه عبدالمطلب وعرض عليه ثلث ثمار تهامه ليرجع فأبى وعبأ جيشه وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه الى جبهة الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى سائر الجهات هرول ثم ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج اليهم فيها فعظم في عين ابرهة وكان رجلا جسيما وسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني جئت لأهدم البيت الذي هو دينك ودين ابائك فالهاك عنه ذود اخذ لك فقال انا رب الابل وللبيت رب سيمنعه عنك ثم رجع واخذ بحلقته ويقول:لاهم ان المرء يرفع حله فأمنع حلالك فالتفت وهو يدعو فأذا بطير من نحو اليمن فقال والله انها لطير غريبة ما هي بنجدية ولا تهامية وكان مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة وعن ابن عباس انه راى منها عند ام هاني نحو قفيز مخططة مجمرة كالجزع الظفاري فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه فهلكوا في كل طريق ومنهل ودوى ابرهة فتساقطت انامله وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطائر يلحق فوقه حتى بلغ النجاشي فقصص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر وخر ميتا بين يديه وعن عائشة قالت :رأيت قائد الفيل وسائسه اعميين مقعدين يستطعمان)[١٤٠].

ونجد الامام الرازي عندما يفسر سورة الايلاف ويحاول عندها الربط مع ماسبقها من احداث نشوء مكة لنجد ان الامام يتفوق بشكل كبير على زملائه من المفسرين عندما يحاول الربط وتقديم ما هو انفع في عرض المسائل التأريخية فهو يقول: في تفسير سورة ايلاف قريش فيما يتعلق بهذا القول ببيان انه لما صار مافعله الله باصحاب الفيل سببا لايلاف قريش.

فنقول فالكلام هنا للامام-لاشك ان مكة كانت خالية من الزرع والضرع على ماقال تعالى: "بواد غير ذي زرع"[١٤١]. الى قوله تعالى (فأجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) فكان اشراف اهل مكة يرتحلون للتجارة هاتين الرحلتين ويأتون لانفسهم ولاهل بلدهم بما يحتاجون اليه من الاطعمة والثياب وهم انما كانوا يربحون في اسفارهم ولأن ملوك النواحي كانوا يعظمون اهل مكة ويقولون هؤلاء جيران بيت الله وسكان حرمه وولاة الكعبة حتى انهم يسمون اهل مكة اهل الله فلو تم للحبشة فاعزموا عليه من هدم الكعبة لزال عنهم هذا العز ولبطلت تلك المزايا في التعظيم والاحترام ولصار سكان مكة كسكان سائر النواحي يتخطفون من كل جانب ويتعرض لهم في نفوسهم واحوالهم فلما اهلك الله اصحاب الفيل ورد كيدهم في نحرهم ازداد وقع اهل مكة في القلوب وازداد تعظيم ملوك الاطراف لهم فأزدادت تلك المنافع والمتاجر فلهذا قال الله تعالى (الم ترا كيف فعل ربك باصحاب الفيل)[١٤٢].

وفيما يدل على صحة هذا القول:ان قوله تعالى في اخر هذه السورة (فليعبدوا رب هذا البيت) اشارة الى اول سورة الفيل ثم ان رب البيت دفعهم عن مقصودهم لأجل ابلاغكم ونفعكم لأن الامر بالعبادة انما يحسن مرتبا على ايصال المنفعة فهذا يدل على تعلق اول هذه السورة بالسورة المتقدمة [١٤٣].

وجاء عند الامام الرازي قولا مميزا في تفسير معنى كلمة قريش يقول (اتفقوا على ان قريشا ولد النضر بن كنانة قال عليه الصلاة والسلام (انا بني النضر ابن كنانة لاتقفوا أمنا ولاننتفي من ابينا) وذكروا سبب هذه التسمية وجوها احدها انه تصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن لاتنطلق الا بالنار وعن معاوية انه سأل ابن عباس: بم سميت قريش؟قال بداية في البحر تأكل ولاتؤكل تعلو ولاتعلى وانشد:

**وقريش هي التي تسكن البر بها سميت قريش قريشا**

والتصغير للتعظيم ومعلوم ان قريشا موصوفون بهذه الصفات لانها تلي امر الامة فأن الائمة من قريش وثانيها انه مأخوذ من القرش وهو الكسب لانهم كانوا كاسبين بتجارتهم وضربهم في البلاد وثالثهما قال الليث:كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي بن

كلاب في الحرم حتى اتخذوها مسكنا لهم فسموها قريشا لان التقرش هو التجمع يقال:تقرش القوم اذا اجتمعوا ولذلك سمي قصي مجمعا قال الشاعر:

**ابوكم قصي كان يدعي مجمعا به جمع الله القبائل من فهر**

وفي تفسير سورة الكوثر يحدثنا الامام الرازي في تفسير (ان شانئك هو الابتر) فيقول ان فيها عدة مسائل:

**المسألة الاولى:** ذكروا في سبب النزول وجوها احدها :انه ﷺ كان يخرج من المسجد والعاص بن وائل السهمي يدخل فألتقينا فتحدثا وصناديد قريش في المسجد فلما دخل قالوا من الذي كنت تتحدث معه فقال ذلك الابتر واقول اذ ذلك من اسرار بعضهم مع بعض مع ان الله تعالى اظهره فحينئذ يكون ذلك معجزا وروي ايضا ان العاص بن وائل كان يقول:ان محمد ابتر لا ابن له يقوم مقامه بعده فإذا مات انقطع ذكره واسترحنا منه وكان قد مات ابنه عبدالله بن خديجة وهذا قول عباس ومقاتل والكلبي وعامة اهل التفسير.[١٤٦].

**القول الثاني:** وروي عن ابن عباس لما قدم كعب بن الاشرف مكة اتاه جماعة من قريش فقالوا: نحن اهل السقاية والسدانة وانت سيد اهل المدينة فنحن خير ام هذا الابتر من قومه يزعم انه خير منا؟ فقال: بل انتم خير منه فنزل: (ان شانئك هو الابتر) ونزل ايضا (الم ترا الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت)[١٤٧].

**القول الثالث:** قال عكرمة وشهر بن حوشب:لما اوحى الله الى رسوله ودعى قريش الى الاسلام قالوا:بتر محمد اي خالفنا ونقطع عنا فأخبر تعالى انهم هم المبتورون .

**القول الرابع:** نزلت في ابي جهل فأنه لما مات ابن رسول الله قال ابو جهل: اني ابغضه لأنه ابتر وهذا منه حماقه حيث ابغضه بأمر لم يكن بأختياره فأن موت الابن لم يكن مراده.

**القول الخامس:** نزلت في عمه ابي لهب فأنه لما شافهه بقول تبا لك كان يقول في غيبته انه ابتر.

**والقول السادس:** انها نزلت في عقبة بن ابي معيط وانه هو الذي كان يقول ذلك واعلم انه لايبعد في كل اولئك الكفرة ان يقولوا مثل ذلك فأنهم كانوا يقولون ماهو اسوء من ذلك ولعل

العاص بن وائل السهمي كان اكثرهم مواظبة على هذا القول فلذلك الروايات بأن الاية نزلت فيه.[١٤٨].

وعند عرضنا للمزيد من الايات القرآنية الي فسرها الامام الرازي سوف نلحظ فيه الامكانية الكبيرة على تقصي الخبر وتحليل الحدث ورسم صورة لما كان انذاك من حدث. فعندما نعرض ماقدمه في تفسير سورة الكافرون سوف نرى انه قد استطاع ان يلم بالحدث من كل جوانبه بل نقدر ان نقول انه كأنه كان يعايش الحدث فقوله في (قل ياايها الكافرون) اعلم ان قوله تعالى (قل) فيه فوائد احدها:انه ﷺ كان مأمورا بالرفق واللين في جميع الامور كما قال (لو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) (فبما رحمة من الله لنت لهم) (وبالمؤمنين رؤف رحيم ) (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) ثم كان مأمورا بأن يدعو الى الله بالوجه الحسن (وجادلهم بالتي هي احسن)[١٤٩]. ولما كان الامر كذلك ثم انه خاطبهم بهذا بيا ايها الكافرون فكانوا يقولون كيف يليق هذا التغليط بذلك الرفق فأجاب اني مأمور بهذا الكلام .الكلام لاني ذكرته عند نفسي فكان المراد قوله (قل) تقرير هذا المعنى وثانيها انه لما قيل له (وانذر عشيرتك الاقربين)[١٥٠] وهو كان يحب اقرباءه لقوله (قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى)[١٥١]. فكانت القرابة ووحدة النسب كالمانع من اظهار الخشونة فأمر بالتصريح بتلك الخشونة والتغليظ فقيل له (قل).

وفي الفائدة الرابعة والعشرين من فوائد تفسير قوله تعالى (قل ياايها الكافرون) يامحمد الست قلت لك (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا)[١٥٢] ثم اني في هذه القدرة راعيت جانبك وطيبة قلبك وناديت في العالمين بأني لا اجعل الرسالة مشتركة بينه وبين غيره بل الرسالة له لا لغيره حيث قلت (ولكن رسول الله وخاتم النبيين)[١٥٣]. فأنت مع علمك بأنه يستحيل عقلا ان يشاركني غيري في العبودية اولى ان تنادي في العالمين بنفس هذه الشركة فقل (يا ايها الكافرون لا اعبد ماتعبدون).

وفي الفائدة الخامسة والعشرين يقول الامام القرطبي (رحمه الله): كأنه تعالى يقول القوم جاؤك واطعموك في متابعتهم لك ومتابعتك لديهم فسكت على الانكار والرد. الست انا جعلت البيعة معك بيعة معي حيث قلت (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله)[١٥٤]. وجعلت

متابعتك متابعة لي حيث قلت (قل ان كنتم تحبون الله فأتبعوني يحببكم الله)[١٥٥] ثم اني ناديت في العالمين وقلت (ان الله بريء من المشركين ورسوله)[١٥٦].

وفي تفسير قوله تعالى (اذا جاءك نصر الله والفتح) يقول الامام الرازي انه في الاية لطائف:

احداها: انه تعالى لما وعد محمدا بالتربية العظيمة بقوله (ولسوف يعطيك ربك فترضى)[١٥٧]. وقوله (انا اعطيناك الكوثر)[١٥٨] لاجرم كان يزداد كل يوم امره كأنه تعالى قال:يامحمد لم يضيق يفق قلبك الست حين لم تكن مبعوثا لم اضيعك بل نصرتك بالطير الابابيل وفي اول الرسالة زدت فجعلت الطيرالملائكة (الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف)[١٥٩]ثم الان ازيد فأقول اني اكون ناصرا لك بذاتي (اذا جاء نصر الله ) فقال:الهي انما تتم النعمة اذا فتحت لي دار مولدي وسكني فقال(والفتح) فقال: الهي لكن القوم اذا خرجوا فأي لذة في ذلك فقال: (ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا) ثم كانه قال: هل تعلم يامحمد باي سبب وجدت هذه التشريفات الثلاثة: انما وجدتها لانك قلت في السورة المتقدمة (يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون)[١٦٠].

وهل يشتمل على امور ثلاثة: **اولها** نصرتني بلسانك فكان جزاؤه (اذا جاء نصر الله) **وثانيها:** فتحت مكة قلبك بعسكر التوحيد فأعطيناك فتح مكة وهو المراد من قوله (والفتح) **والثالث**:ادخلت رعية جوارحك واعضائك في طاعتي وعبوديتي فانا ايضا ادخلت عبادي في طاعتك وهو المراد من قوله (يدخلون في دين الله افواجا)

ثم انك بعد ان وجدت هذه الخلع الثلاثة فأبعث الى حضرتي بثلاث انواع من العبودية :تهادوا تحابوا،اذ نصرتك فسبح وان فتحت مكة فأحمد وان اسلموا فاستغفر، وانما وضع في مقابلة (نصر الله) تسبيحه لان التسبيح هو تنزيه الله عن مشابهة المحدثات يعني تشاهد انه نصرك فاياك ان تظن انه انما نصرك لانك تستحق منه ذلك النصر بل اعتقد كونه منزها عن ان يستحق عليه احد الخلق شيئا ثم جعل في مقابلة فتح مكة الحمد لان النصر لايمكن ان تقابل الا الحمد ثم جعل مقابلة دخول الناس في الدين الاستغفار وهو المراد من قوله (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات)[١٦١] اي كثرة الاتباع مما يشغل القلب

للذة الجاه والقبول فأستغفر لهذا القدر من ذنبك واستغفر لذنبهم فأنهم كلما كانوا اكثر كانت ذنوبهم اكثر فكان احتياجهم الى استغفارك اكثر(١٦٢).

ومن النماذج الاخيرة من التي برع في تفسيرها الامام الرازي وتحدث من خلالها عن السيرة النبوية سورة المسد (وامرأته حمالته الحطب) حين نجده يحدثنا بالقول فيها مسائل عديدة قرئ ومريئته بالتصغير وقرئ حمالة الحطب بالنصب على الشتم قال صاحب الكشاف وانا استحب هذه القراءة وقد توسل الى رسول الله (ﷺ) بجميل من احب شتم ام جميل. وقرئ بالنصب والتنوين والرفع(١٦٣).

والثانية ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان بن حرب عمة معاوية وكانت في غاية العداوة لرسول الله (ﷺ)(١٦٤).

وذكروا في تفسير كونها حمالة الحطب وجوها احدها انها كانت تحمل حزمة من الشوك والحسك فتنزها بالليل في طريق رسول الله (ﷺ) فأن قيل انها من بيت العز فكيف يقال انها حمالة الحطب.قلنا لعلها كانت مع كثرة مالها خسيسة او كانت لشدة عداوتها تحمل بنفسها الشوك والحطب لأجل ان تلقيه في طريق رسول الله (ﷺ) وثانيها: انها كانت تمشي بالنميمة يقال للمشاء بالنمائم المفسد بين الناس:بحمل الحطب بينهم:اي يوقد بينهم النائرة ويقال للمكثار :هو حاطب ليل،وثالثهما قول قتادة انها كانت تعير رسول الله (ﷺ) بالفقر(١٦٥).

**الخلاصة**:

مما سبق عرضه في هذه الدراسة المتواضعة يمكننا ان نسجل الملاحظات الاتية:

١. ان معظم علماء التفسير كانت ابحاثهم جيده جداً. وقد قدموا من خلال مصنفاتهم التي دونوها مادة مهمة عن سيرة الرسول محمد (ﷺ) وهم يفسرون العديد من الايات القرآنية ذات العلاقة باحداث الدعوة الاسلامية في مرحلتيها المكية والمدينة ولو قيض لاي باحث جمعها لظهرت عنده مادة علمية مهمة عن سيرة الرسول (ﷺ).

٢. ان معظم علماء التفسير اعتمدوا وبلا ادنى شك على تحقيق النصوص من خلال التحقق من سلسلة الاسناد فكانت سلسلة الاسناد عندهم سليمة وهذا دفعهم كذلك الى التحقق من النص إلا ان هذا لايعني ان الجميع نجحوا في تحقيق ذلك فلقد تميز البعض منهم مثل الامام الطبري والقرطبي والرازي وابن كثير في تحقيق قدرا كبيرا في تقديم رواية سليمة في حين نجد ان بعضهم مثل السمرقندي لم يكن موفقا في ذلك فلقد ذكر بعض الروايات الغريبة متأثرا بالاسرائليات.
٣. ان عموم اصحاب التفسير دمجوا في تفسيرهم للآيات القرانية ما بين المسائل الفقهية والتشريعية وما بين احداث السيرة النبوية مما جعل احداث السيرة اكثر قوة ورصانة وقبول.
٤. تميز الامام الطبري (رحمه الله) بأنه اول من قدم لنا احداث السيرة النبوية ضمن تفسير الايات القرآنية وقد سار على منواله من جاء بعده من علماء التفسير واليه يرجع الفضل في ذلك.
٥. اذا كان اصحاب المدارس التأريخية قدموا لنا سيرة متنوعة فأن اصحاب الحديث قدموا سيرة مميزة.

**هوامش البحث ومصادره**:

١. الفرقان، الاية: ٣٣.
٢. ينظر حول ذلك د.عبدالله شحاته، علوم التفسير، ط١(القاهرة: ١٤٢١هـ/٢٠٠١م) ٩.
٣. ينظر شحاتة، المكان نفسه.
٤. ينظر جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق، فواز احمد زكي (بيروت:١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م): ٢/١٧٤.
٥. ينظر ابن خلدون، المقدمة، ٤٨٩.
٦. ينظر ابن قتيبة، المسائل والاجوبة، ٨.
٧. سورة النحل، الاية ٤٤.

٨. سورة الانعام، الاية ٨٢.
٩. ينظر البخاري، ابو عبدالله محمد،صحيح البخاري، اعتنى به، ابو صهيب الكرمي.
١٠. ينظر البخاري، صحيح، ١٢٩.
١١. ينظر ابو عيسى محمد الترمذي، سنن، طـ(بيروت:١٢٤٠ هـ/٢٠٠٠م)٧٤٣ ومابعدها
١٢. ينظر الامام السيوطي، الاتقان في علوم القرآن ٨٨٥/٢.
١٣. ينظر شحاتة، علوم،١٥.
١٤. ينظر شحاتة، المكان نفسه.
١٥. ينظر السيوطي، الاتقان، ٧٨٥-٧٨٨.
١٦. ينظر السيوطي ، المكان نفسه
١٧. ينظر حاجي خليفه، ٣٣/١.
١٨. ينظر شحاته،علوم،١٧.
١٩. ينظر شحاتة،علوم،١٩.
٢٠. ينظر للمزيد شحاتة، علوم، ١٩-٢١.
٢١. سورة الانفال، الاية٦٧.
٢٢. سورة الانفال، الاية،١.
٢٣. ينظر حول ذلك محي الدين ديب مستو،مناهج التأليف في السيرة النبوية، ط١(دمشق ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) ١٢٥.
٢٤. ينظر مستو، مناهج ١٢٦.
٢٥. ينظر مستو، المكان نفسه.
٢٦. ينظر حول ذلك اكرم ضياء العمري،السيرة الصحيحة، ط٦(المدينة المنورة:١٤١٥هـ )٢٢/١.
٢٧. سورة الشعراء، الاية٢١٥.
٢٨. سورة المسد، الاية١-٢.
٢٩. ينظر البخاري، صحيح، باب التفسير، ٩٤١.

٣٠. سورة الدخان، الاية١٢.
٣١. سورة الدخان،الاية ١٠-١٦.
٣٢. مستو،مناهج،١٣٠.
٣٣. د. محمد محمد ابو شهبة، اعلام المحدثين، ط (القاهرة:١٩٦٣) ١٩٣.
٣٤. ينظر ابو شهبة ، اعلام، ٢٩٣-٢٩٤.
٣٥. ينظر ابو شهبة، اعلام، ٢٩٦.
٣٦. ينظر حول ذلك محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك،تحقيق ابو الفضل ابراهيم، ط (١) الاجزاء الاول والثاني.
٣٧. ينظر حول ذلك ابو شهبة ،اعلام،٢٩٥-٢٩٦.
٣٨. ابو شهبة ،المكان نفسه.
٣٩. ينظر ابو شهبة، المكان نفسه.
٤٠. ابو شهبة، المكان نفسه.
٤١. ينظر د.عبد الرحمن حسين العزاوي، الطبري، ط١(بغداد:١٩٨٨)٥٧-٦٥.
٤٢. ينظر شمس الدين ابو عبدالله محمد بن عثمان الذهبي،تذكرة الحفاظ، د/ط (القاهرة: د/ت) ٢/٢٥٣.
٤٣. للمزيد ينظر العزاوي،الطبري،٧٤-٧٥.
٤٤. ينظر العزاوي ، المكان نفسه.
٤٥. ينظر ابو شهبة، اعلام، ٢٩٦-٢٩٧.
٤٦. ينظر العزاوي، الطبري، ٩٢-٩٤.
٤٧. ينظر العزاوي، المكان نفسه.
٤٨. للمزيد حول هذا الموضوع ينظر العزاوي، اماكن عديدة.
٤٩. ينظر تفسير الطبري، ١٢/٤٤٤.
٥٠. ينظر تفسير الطبري، ١٢/٤٤٤.
٥١. ينظر علي محمد محمد الصلابي،السيرة النبوية، ط١(القاهرة:١٤٢٢هـ/٢٠٠١) ١/٢٠٢.

٥٢. سورة الحشر، الاية ١-١٠.

٥٣. ينظر تفسير الطبري، ١٢/٧٢.

٥٤. ينظر تفسير الطبري، ١٢/٢٨.

٥٥. ينظر تفسير الطبري،١٢/٢٩.

٥٦. سورة الكافرون، الايات ١_-.

٥٧. سورة الزمر، الاية ٦٤.

٥٨. سورة النساء، الاية ٤٤.

٥٩. ينظر تفسير الطبري، ١٢/٧١٧.

٦٠. ينظر تفسير الطبري،١٢/٧١٦.

٦١. سورة الممتحنة، الاية ١٠.

٦٢. ينظر ١٢/٦٧.

٦٣. سورة الشعراء، الاية ٢١٤.

٦٤. ينظر تفسير الطبري، ١٢/٧٣٤.

٦٥. ينظر تفسير الطبري، ١٢/٧٣٤.

٦٦. ينظر د. فاروق حمادة، مصادر السيرة النبوية، ط ١ (دمشق : ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م) ١٥٨.

٦٧. ينظر مثلا: ما كتبه حول الاسراء والمعراج.

٦٨. ينظر حمادة، المكان نفسه.

٦٩. سورة الانفال، الاية ٩.

٧٠. سورة الانفال، الاية

٧١. سورة الانفال، الاية

٧٢. ينظر الامام احمد، المسند،٨/٢/٢٢١.

٧٣. ينظر عماد الدين ابي الفداء، ابن كثير، التفسير القرآن العظيم،حققه محمود بن الجميل ط (القاهرة:١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)٦/٤٧.

٧٤. سورة التوبة، الاية ٩.

٧٥. ينظر ابن كثير، التفسير،١٣/٤.
٧٦. ينظر ابن كثير، التفسير،١٢/٤-١٤.
٧٧. ينظر ابن كثير، المكان نفسه.
٧٨. ينظر ابن كثير، المكان نفسه.
٧٩. سورة الشعراء، الاية ٢١٤.
٨٠. ينظرالبخاري، صحيح، ٥٥٣١.
٨١. ينظر ابن كثير، التفسير، ٤/٤٦-٤٨.
٨٢. اخرجه الامام احمد، مسنده، ٢/٣٥٠.
٨٣. ينظر ابن كثير، ٤/٤٨-٤٩.
٨٤. ينظر ابن كثير، المكان نفسه.
٨٥. ينظر ابن كثير، المكان نفسه.
٨٦. ينظر ابن كثير، تفسير، ٨/٣١٩.
٨٧. ينظر ابن كثير، تفسير، ٨/٣١٤.
٨٨. سورة الحشر، الاية ٢.
٨٩. ينظر ابن كثير، تفسير، ٣٦-٣٧.
٩٠. ينظر ابن كثير، تفسير، ٨/٣٩-٤٠.
٩١. ينظر ابن كثير، المكان نفسه.
٩٢. اخرجه البخاري، ٤٠٢٨ وأخرجه مسلم، ١٧٤٦.
٩٣. ينظر ابن كثير، تفسير، ٨/٤٠.
٩٤. ينظر ابن كثير، تفسير، ٨/٤١.
٩٥. ينظر ابن كثير، تفسير، ٨/٤٨.
٩٦. سورة الضحى، الايات١-٦.
٩٧. ينظر ابن كثير، تفسير، ٨/٢٦٥.
٩٨. ينظر ابن كثير، تفسير، ٨/٢٦٦.
٩٩. ينظر ابن كثير،المكان نفسه.

١٠٠. ينظر ابن كثير، تفسير، ٢٦٧/٨.
١٠١. ينظر ابن كثير،تفسير،٢٦٧/٨-٢٦٨.
١٠٢. ينظر ابن كثير،المكان نفسه.
١٠٣. ينظر ابن كثير، المكان نفسه.
١٠٤. ينظر ابن كثير، تفسير، ٢٦٩/٨.
١٠٥. ينظر السمرقندي، تفسير،٦/١-٧، مقدمة المحققون.
١٠٦. ينظر السمرقندي، المكان نفسه.
١٠٧. ينظر السمرقندي، المكان نفسه.
١٠٨. سورة الروم، الايات١-٣.
١٠٩. ينظر السمرقندي، تفسير،٢٥١/٣-٢٥٦.
١١٠. ينظر السمرقندي، المكان نفسه.
١١١. والاصح مرثد بن ابي مرثد الغنوي،ينظر محمد بن عمر بن واقد،المغازي،تحقيق ، مارسدن جونسن (بيروت:د/ت)٣٥١/٢.
١١٢. ينظر السمرقندي، تفسير، ٣٤٠/٣.
١١٣. ينظر السمرقندي، تفسير،٣٤١/٣.
١١٤. ينظر القرطبي، الاحكام، م٣/١٠/١.
١١٥. ينظر القرطبي، الاحكام، م٤/١٠/٢.
١١٦. ينظر القرطبي، الاحكام، المكان نفسه.
١١٧. ينظر القرطبي، المكان نفسه.
١١٨. ينظر القرطبي، المكان نفسه
١١٩. ينظر القرطبي، الاحكام، م١٨/١/١-٢٠.
١٢٠. ينظر القرطبي، الاحكام، ١٩٤/٩.
١٢١. ينظر القرطبي، الاحكام، ١٩٤/٩-١٩٥.
١٢٢. ينظر القرطبي، الاحكام، مجلد/٩٣/١٠.
١٢٣. سورة التحريم، الاية ١.

١٢٤. المغافير جمع مغفور وهو صمغ حلو كالناطف له رائحة كريهة @ الشجر يقال له: العرفط، ينظر القرطبي، الاحكام، ٩/١٣٤.
١٢٥. ينظر القرطبي، الاحكام، ٩/١٣٥.
١٢٦. اختلاف اصحاب السير في المدة التي ابطأ فيها جبريل ﵇ عن رسول الله (ﷺ)، منهم قال انها ثلاثة اشهر ومنهم من قال ثلاث سنوات والاصح هي بضعة عشر يوما.
١٢٧. ينظر القرطبي، الاحكام، م١٠/٢٠/٦٦.
١٢٨. ينظر القرطبي، الاحكام، م١٠/١٩/٢٦.
١٢٩. سورة الجمعة، الاية ٢.
١٣٠. ينظر القرطبي، الاحكام، م/٩/١٨/٦٨.
١٣١. سورة الجمعة، الاية ٩.
١٣٢. ينظر القرطبي، الاحكام، م٩/١٨/٧٣.
١٣٣. ينظر القرطبي، الاحكام، م٩/١٧/١١٣.
١٣٤. ينظر القرطبي، الاحكام، م٩/١٧/١٧٦.
١٣٥. ينظر القرطبي، الاحكام، م٩/١٧/١٧٦–١٧٨.
١٣٦. ينظر الرازي، تفسير او مفاتيح الغيب، ١/٢–٦.
١٣٧. ينظر الرازي، تفسير، المكان نفسه.
١٣٨. ينظر الرازي، تفسير، المكان نفسه.
١٣٩. ينظر الرازي، تفسير، ٣٢/٩١.
١٤٠. ينظر الرازي، تفسير، ٣٢/٩٢.
١٤١. سورة ابراهيم، الاية ٣٧.
١٤٢. ينظر الرازي، تفسير، ٣٢/٩٨.
١٤٣. ينظر الرازي، تفسير، ٣٢/٩٩.
١٤٤. ينظر الرازي، تفسير، ٣٢/١٠٠–١٠٢.
١٤٥. ينظر الرازي، المكان نفسه.

١٤٦. ينظر الرازي، تفسير، ٣٢/١١٠-١١٣.

١٤٧. سورة النساء، الاية٥١.

١٤٨. ينظر الرازي، المكان نفسه.

١٤٩. سورة النحل، الاية ١٢٥.

١٥٠. سورة الشعراء ، الاية ٢١٤.

١٥١. الشورى، الاية ٤٢.

١٥٢. الفرقان، الاية ٥١.

١٥٣. سورة الاحزاب، الاية ٤٠.

١٥٤. سورة الفتح، الاية١٠.

١٥٥. سورة ال عمران، الاية ٣١.

١٥٦. سورة التوبة، الاية ٣.

١٥٧. سورة الضحى، الاية ٥.

١٥٨. سورة الكوثر، الاية ١.

١٥٩. سورة ال عمران، الاية ١٢٤.

١٦٠. سورة الكافرون، الاية١.

١٦١. سورة محمد، الاية ١٩.

١٦٢. ينظر الرازي، تفسير، ٣٢/١٣٩.

١٦٣. ينظر الرازي، تفسير، ٣٢/١٥٧-١٥٨.

١٦٤. ينظر الرازي، المكان نفسه.

١٦٥. ينظر الرازي، المكان نفسه.